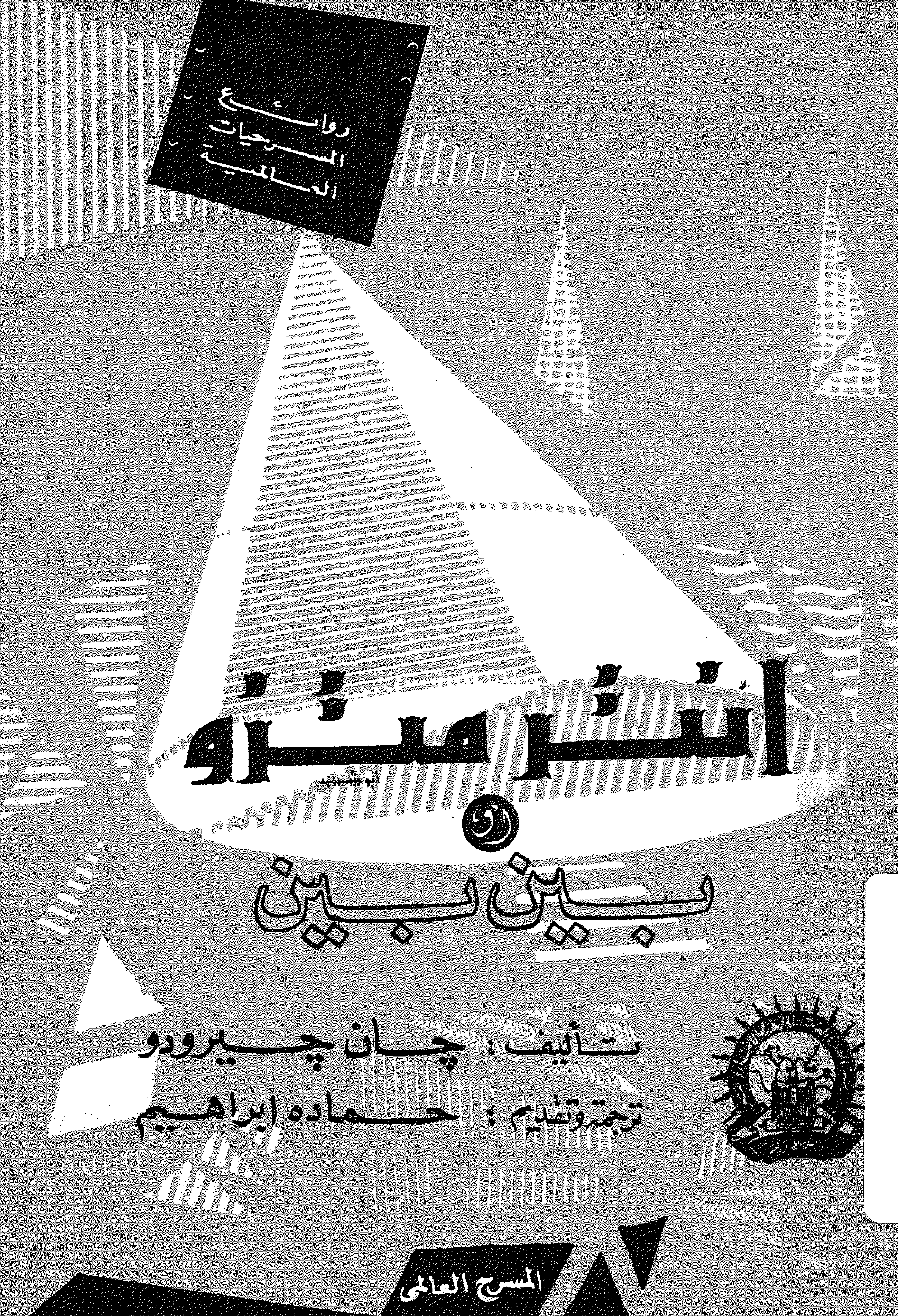

روائع
المسرحيات
العالمية
انترميتزو
أو
بين بين
تأليف : چان چيرودو
ترجمة وتقديم : حماده إبراهيم
المسرح العالمي

سلسلة مسرحيات عالمية

تصدر بإشراف لجنة المسرح العالمى

الإدارة : ١٨ شارع حسين حجازى . ت : ٢٤٢٩٨ - القاهرة

المراسلات : باسم المشرف المسئول - بريد مجلس الأمة

مسرحيات عالمية

٣٨

نصف شهرية

انترمتزو
أو
بين بين

تأليف: چان چيرودو

ترجمة وتقديم: حماده ابراهيم

أقرتها لجنة المسرح العالمى

المسرح العالمى
مشروع المكتبة العربية
الدار القومية للطباعة والنشر
وزارة الثقافة

أول يناير ١٩٦٧

Intermezzo

COMEDIE

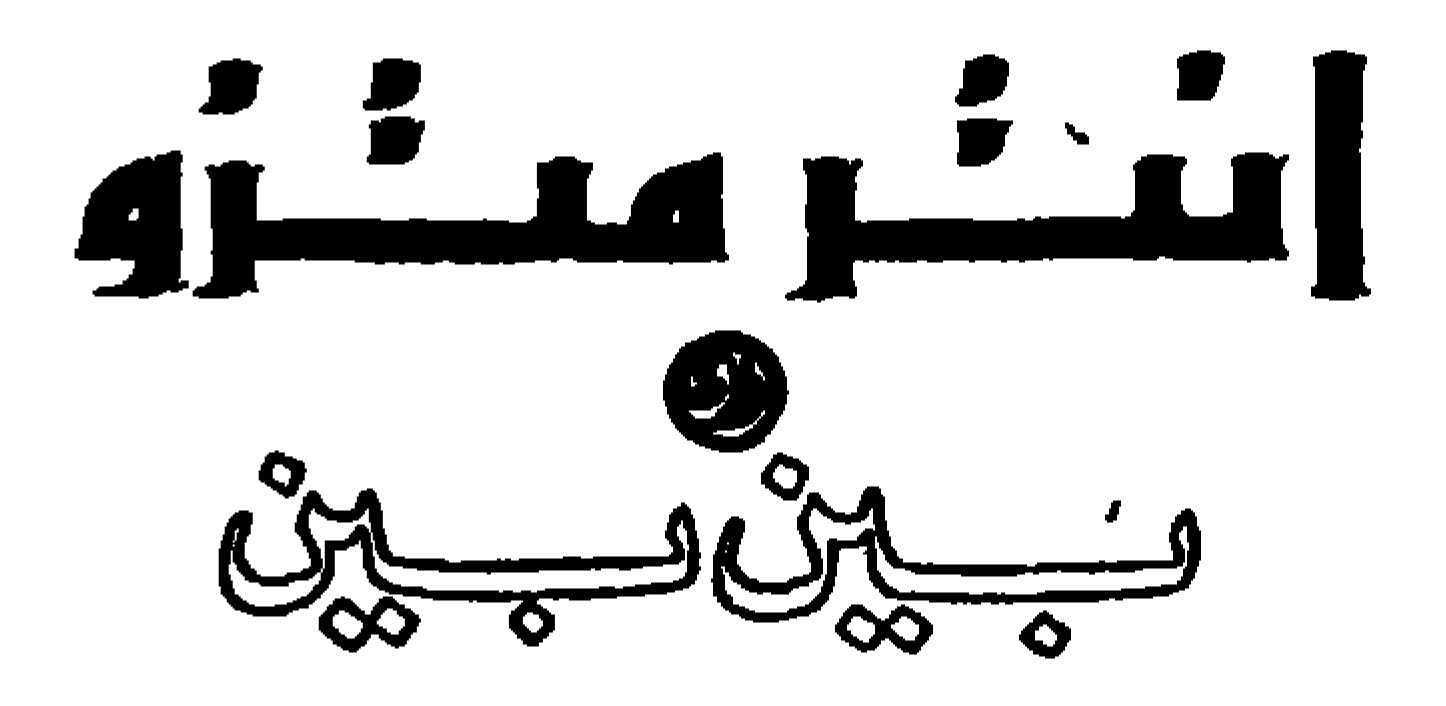
par

JEAN GIRAUDOUX

traduite et présentée

par

HAMADAH IBRAHIM



تـأليف : جـان جـيرودو

ترجمة وتقديم : حـماده ابراهـيم

مقدمة المترجم

أتى زمن على الأدب الفرنسى الحديث سرت فيه بين الأدباء موجة من الاعتقاد مؤداها أنهم بتخلصهم من « وضوح الفن التقليدى » فإنهم يقتربون من الحقيقة . ثم نهج سبيلهم طائفة من الكتاب ، غير أن هؤلاء المشايعين وهم يقتفون أثر الرواد لم يسألوا أنفسهم إلام يقودهم هذا الطريق . كل ما هناك أن هذا الطريق كان يبدو لهم جديداً ومبتكراً . والكاتب بوسعه أن يكتب من أجل المتعة ، متعة تتصل بفن ينزع إلى السمو والرفعة . إلا أن واقع الأمور لا يثبت دائماً أن المتعة لابد لها من إعداد وتنظيم ، إن المتعة الحسية أو المتعة الذهنية تنشأ فى بعض الأحيان من المفاجأة والمواترة . ومن المؤكد أن اتصال المتعة وانتظامها من شأنهما أن يفسداها ويقضيا عليها . وهذا هو ما حدث للأدب ، إن الوضوح والنظام كانت لهما حسناتهما ، إلا أنهما أصبحا كالماء القراح بلا طعم ولا رائحة . إن الوضوح والنظام يحملاننا بلا دفع ولا جذب ، لكنهما يحطاننا فوق شاطىء ساكن وكئيب .

فإذا أردنا المتعة ، فعلينا بالمغامرة والخيال والغرابة .

هذه السمات هى التى سنجدها عند « جان جيرودو » .

ولكن هذا الثالوث الكشاف لا يكفينا مرشداً عندما نطرق عالم « جان جيرودو » ، ولا يكفينا هادياً ونحن نتوغل فى متاهاته ونخوض فى أبعاده وأعماقه .

فإن « جان جيرودو » ليس كاتباً عادياً يمكن أن نطبق عليه نظرية أدبية بعينها ، وهو لايندرج تحت مذهب فني معين دون غيره يمكن أن نخضعه لمقاييسه . وفي هذا الشأن يقول « مارسيل بروست » في مقدمته لكتاب « بول موران » Tendres Stocks وهو يصف من كان على شاكلة « موران » و « جيرودو » من الكتاب : « الحقيقة ، هي أنه من آن لآخر يطل علينا كاتب مبتكر (ولنسمه إذا شئتم « جان جيرودو » أو « بول موران » ، ما داموا قد اعتادوا التقريب بين « بول موران » و « جان جيرودو » ، ولا أعرف لذلك سبباً ...) وهذا الكاتب الجديد يكون عادة صعب القراءة ، عسير الفهم ، لأنه يربط بين الأشياء بعلاقات جديدة . إننا نتابعه جيداً حتى منتصف الجملة ، وإذا بنا نفشل . ونحن نشعر أن سبب ذلك يرجع ببساطة إلى أن الجديد أكثر منا مهارة ... عندما بدأ « رينوار » في الرسم ، كانوا لا يعترفون بالأشياء التي كان يقدمها . ومن السهل أن نقول اليوم إنه مصور من القرن الثامن عشر . ولكننا ، ونحن نقول ذلك ، نلغي عامل الزمن ... »

إننا إذن أمام ظاهرة جديدة ، مبتكرة ، مفردة . وهذه الظاهرة لاتبدو وتنجلي للعين المجردة ، والأذن العادية لا تستطيع أن تلتقط ما يتردد فيها من أصوات وأصداء .

فمن هو « جان جيرودو » هذا ؟

كتب « جان جيرودو » أكثر من ثلاثين مؤلفاً ، بين رواية ، وقصة ، ومذكرات ، ومسرحية ، ودراسة أدبية وسياسية . إلا أنه ، في المقام الأول ، يعتبر كاتباً مسرحياً رائداً . ولقد ترجمت له عدة مسرحيات إلى اللغة العربية (١)

(١) اليكترا ، سلسلة روائع المسرح العالمي ، العدد (٧) نوفمبر سنة ١٩٦١
سيجفريد ، سلسلة روائع المسرح العالمي ، العدد (٣٧) مايو سنة ١٩٦٣
أونديين ، سلسلة روائع المسرح العالمي ، العدد (٥٩) مارس سنة ١٩٦٥

وظهرت معها مقدمات تعرضت لتاريخ حياته بالتفصيل ، لذلك فسنكتفي هنا بتقديم نبذة سريعة عن هذه الحياة توضح لنا الخطوط العريضة التي كونت شخصية الرجل الذى تربع على عرش الأدب المسرحي فى فرنسا ، ليلة ١٠ مايو سنة ١٩٢٨ ، وهى الليلة التى عرضت له فيها سيجفريد أولى مسرحياته على «مسرح الشانزيليزيه» فى باريس .

١٨٨٢ ولد فى مدينة « بيلاك » بمقاطعة « الليموزان » ، من عائلة متواضعة إذ كان أبوه يعمل جابياً للضرائب وليس مدرساً بالتعليم الإلزامى كما جاء فى مقدمة سيجفريد .

١٨٩٣ إلتحق بمدرسة « شاتورو » .

١٩٠٠ دخل مدرسة « لاكانال » بباريس .

١٩٠٣ إلتحق بمدرسة المعلمين العليا ودرس اللغة الألمانية وآدابها على يد الأستاذ « شارل أدلر » .

١٩٠٥ أقام فى ألمانيا والتحق بالعمل كمرب عند إحدى العائلات .

١٩٠٦ إشتغل مدرساً بجامعة « هارفارد » بالولايات المتحدة الأمريكية .

١٩٠٧ عمل سكرتيراً لجريدة « ألماتان » فى باريس ، وأشرف على صفحة الأدب ، ونشر عدداً من المقالات الأدبية والقصص القصيرة .

١٩٠٩ أصدر مجموعة الريفيات

١٩١٠ عمل بالسلك الدبلوماسى .

١٩١٤ عمل جندياً بالجيش وأصيب .

١٩١٥ أصيب مرة أخرى .

١٩١٦ سافر إلى البرتغال ثم إلى الولايات المتحدة .

١٩١٧ أصدر مطالعات موجهة إلى شبح .

١٩١٨ تزوج .

١٩٢٠ ـ ١٩٢٨ كانت فترة إنتاجه الروائى

١٩٢٨ تعرف على « لوى جوفيه » المخرج والممثل المسرحى واتجه نحو المسرح .

١٩٢٨ ـ ١٩٣٨ فترة الانتاج المسرحى ـ تقلد خلالها مناصب دبلوماسية مختلفة وقام برحلات حول العالم .

١٩٣٩ عمل بالاستعلامات

١٩٤٠ إعتزل فى « فيشى » بعد الهزيمة .

١٩٤٤ إستطاع الموت أن يحطم « درع الحظ » الذى كان يتدرع به ذلك الشخص الذى وصفه « كوكتو » بأنه كان يبدو فى حصن من مفاجآت القدر . »

* * *

وعندما تقرؤنى ، ألق بهذا الكتاب ـ واخرج . إننى أرجو أن يمنحك هذا الكتاب الرغبة فى أن تخرج ـ أن تخرج من أى شىء ، من مدينتك ، من أسرتك من حجرتك ، من فكرك ... »

يبدو أن هذا الدرس الذى لقنه « جيد » لتلميذه « ناتانا ييل » قد سمعه أيضاً ووعاه تلاميذ ذلك الجيل ، الذين يتربعون اليوم على عرش الأدب فى فرنسا . لقد سمعه « مالرو » ، « وبرنانوس » . وسمعه كذلك « سالاكرو » ، « وسارتر » ، « وكامو » ، « وجيرودو » ، « وكوكتو » ، « وآنوى » وغيرهم ، وراحوا بدورهم يلقنونه الآخرين .

وإذا ما تأملنا جيداً هذا الدرس وتمعناه ، لوجدنا أنه أساس كل ما طرأ على المسرح فى هذا القرن من تغييرات . فلو لم يكن « الخروج » على القديم لما كان هناك جديد ، ولظل الخلف ينقل عن السلف مكتفياً بمهمة النقل ، قانعاً بدور المقلد .

إن السمة المشتركة التى تميز بطل اليوم هى أنه شخصية « مبتكرة » تفكر تفكيراً مبتكراً ، وتسلك سلوكاً مبتكراً . وفى غالب الأحيان يكون هذا التفكير وهذا السلوك نابعين من ذات الشخصية . والشخصية ، إذ تقدم على هذا التفكير أو هذا السلوك ، لا يهمها أن يقرها الآخرون أو ينكروها . إنها وقد خرجت من كل شىء ، لا تعلق كبير أهمية على ما جرى عليه العرف وما تعودته التقاليد ، بل إن ما تلقاه من معارضة ، وما يصادفها من إنكار ، لا يزيدها إلا تصميماً على موقفها واستمساكا برأيها .

وأوضح مثل على الشخصية المبتكرة هو « إليكترا » التى عالج مادتها أكثر من مؤلف ، وتعرضت لها مسرحيات عديدة . إن « إليكترا » ، بمفردها مجردة من كل قوة ، إلا قوة تصميمها وإيمانها ، تقف فى مواجهة القوانين الوضعية وتتحدى كل من يمثلون التقاليد . والمسرح الحديث زاخر بمثل هذه الشخصية التى تنفصل عن كل ما حولها ومن حولها .

إن كل مسرحية من مسرحيات « جان جيرودو » تقدم لنا صورة لهذا البطل المبتكر الغريب ، المغامر ، الخيالى والواقعى فى نفس الوقت . وإن عرضاً سريعاً لأهم أعمال «جيرودو» المسرحية يوضح هذا الرأى :

سيجفريد :

تدور أحداث المسرحية فى ألمانيا ، وقد مضى سبع سنوات على اندلاع

الحرب العالمية الأولى : المستشار «سيجفريد» يتمتع بين الألمان بشعبية واسعة، ويعدونه بطلا قومياً . وهو من جانبه يجتهد فى أن يعيد إلى ألمانيا مجدها وعظمتها . غير أن البارون « زيلتين » يتربص به ويقف منه ومن سياسته موقف العداء . ويكتشف « زيلتين » أن « سيجفريد » ليس فى حقيقة الأمر سوى الكاتب الفرنسى « جاك فورستيه » الذى حمله الألمان فاقد الوعى فى ساحة القتال . وقد آوته « إيفا » ابنة عم « زيلتين » وقامت على تعليمه وتثقيفه من جديد . ويرى « زيلتين » أن يخلص ألمانيا من سيجفريد بأن يعيده إلى ماضيه وإلى وطنه الأصلى . ولتحقيق هذا المخطط ، فإنه يستقدم من فرنسا « جينيفييف » خطيبة « جاك فورستيه » ، ويطلب إليها أن تقوم بتدريس اللغة الفرنسية لخطيبها . ثم إنه يحيك مؤامرة يسعى من ورائها إلى الاستيلاء على الحكم ، إلا أنه يفشل ويحكم عليه بالإعدام؛ ولكن «سيجفريد» يعدل الحكم إلى النفى . عندئذ يكشف « زيلتين » « لسيجفريد » أنه ليس ألمانياً . ثم تؤيده فى ذلك «جينيفييف» التى تصرح «لسيجفريد» بحقيقة أمرها . ويجد «سيجفريد» نفسه فى حيرة من أمره :

هل يبقى فى ألمانيا ويستمر فى تمثيل شخصية « سيجفريد » البطل الذى يسبح الألمان جميعاً بحمده ويهتفون باسمه ، أم يعود إلى فرنسا حيث لا أحد ينتظره إلا كلبه القديم ؟ هتاف الملايين ، أم نباح الكلب ؟

ويختار « سيجفريد » أن يعود « جاك فورستيه » ، وأن يرجع إلى ماضيه ، إلى فرنسا حيث ينتظره كلبه ، وينتظره مصباحه ، وتنتظره أشجاره ، لأنه عندما يعود إلى حيواناته ، وحشراته ، ونباتاته ، والروائح التى تعبق الغابات ، سوف يستطيع أن يعيش سعيداً . وهكذا يفضل « سيجفريد » أن يترك ألمانيا حيث لا يعرفه ولا يهتم به شىء غير الناس ، إلى فرنسا حيث ينتظره كل شىء ما عدا الناس .

هذا الموقف من جانب « سيجفريد » قد يعارضه فيه الكثيرون ، وهذا القرار الذى يتخذه قد لا يميل إليه كثيرون غيره ، ومن هنا كانت غرابة هذه الشخصية . ولكن« سيجفريد » بعودته إلى وطنه ، إلى السعادة الحقيقية إنما يتصرف بوحى من العقل والحكمة ، ومن هنا كانت واقعيته .

أمفتريون ٣٨ :

وإذا كانت مسرحية سيجفريد تصور لنا العلاقات بين حضارتين و بين جنسين ، فإن امفتريون ٣٨ تصور لنا العلاقات بين عالمين مختلفين . فنرى فيها « جوبيتير » وقد أغرم بإنسية هى « ألكمين » زوج « أمفتريون » قائد طيبة . ولكى يشبع « جوبيتير » هواه ، فإنه يتخذ هيئة الإنسان ويتنكر فى صورة «أمفتريون» ، ويصحب معه « ميركور » وقد اتخذ صورة « سوزى » تابع «أمفتريون» ، ثم يبعدان «أمفتريون» عن زوجه بإعلان حالة الحرب بين طيبة وأثينا . ويسعى « سوزى » المزيف إلى « ألكمين » يخبرها بأن زوجها — رغم إعلان حالة الحرب — سوف يدبر أمره ويعود لزيارتها فى السر مساء اليوم . وهكذا يقضى « جوبيتير » ليلته بصحبة تلك التى يحبها . وفى الصباح ، يحاول « جوبيتير » — دون أن يكشف عن حقيقته — أن يستطلع رأى « ألكمين » فى الآلهة ، وما إذا كانت تريد أن تصبح إلهة .

جوبيتير : ألم تتمنى فى حياتك أن تصبحى إلهة أو شبه إلهة ؟

ألكمين : بالتأكيد لا . ولم هذا ؟

جوبيتير : لكى تكونى مكرمة مبجلة من الجميع .

ألكمين : إننى كذلك وأنا زوجة بسيطة ، هذا أدعى إلى الاحترام .

جوبيتير : لكى تكونى فى جسد أخف ، لكى تسيرى فوق الأجواء ، فوق المياه .

ألكمين : هذا ما تفعله كل زوجة مثقلة بزوج صالح .

جوبيتير : لكى تدركى علل الأشياء ، والعوالم الأخرى .

ألكمين : إن العوالم القريبة لم تثر اهتمامى على الإطلاق .

جوبيتير : إذن لكى تكونى خالدة !

ألكمين : خالدة ؟ وما جدوى ذلك ؟ فيم يفيد ؟

جوبيتير : كيف ، فيم ؟ فى ألاّ تموتين !

ألكمين : وماذا سأفعل ، إذا أنا لم أمت ؟

جوبيتير : ستعيشين مخلدة ، أى ألكمين العزيزة ، وقد استحلت نجماً ، ستتلألئين فى الليل حتى نهاية العالم .

لكن « ألكمين » ترفض الخلود ، بل وترى فيه خيانة بشرية . بل وأكثر من ذلك ، إنها تتصور الموت بلسماً لمتاعب الحياة ، وراحة يخلد إليها الإنسان بعد حياة طويلة عاصفة .

ولكن « ميركور » يعلن فى المدينة أن الليلة المقبلة ستشهد « جوبيتير » فى مخدع ألكمين ، لينجب منها « هرقل » . وترفض ألكمين هذا الشرف بكل ما لديها من قوة ، وتتوسل إلى « ليدا » التى تأتى لزيارتها أن تحل مكانها . فتقبل «ليدا» هذا الشرف العظيم فرحة مبتهجة ؛ ولكن حيلة «ألكمين» لا تنجح إلا فى إيقاع « أمفتريون » الحقيقى بين ذراعى « ليدا » غير أن «جوبيتير»، وقد تأثر لما رآه فى «ألكمين» من فضيلة وعناد وتصميم، يكتفى بصداقتها .

وإذا كانت هذه المسرحية تبين أن الإنسان يستطيع بعقله وحكمته أن يقهر القدر ، فإنها كذلك تتفق مع مسرحية « سيجفريد » فى أن على الإنسان

أن يرضى بواقعه وأن سعادته إنما تكمن فى تحكيم عقله على هواه ، وإيثار البساطة على المغالاة .

إن غرابة « ألكمين » تكمن فى رفضها لما تتمناه أية امرأة سواها ، وواقعيتها تكمن فى أنها سلكت الطريق التى تتفق مع طبيعتها والتى تضمن لها سعادتها .

لن تقوم حرب طروادة :

ومسرحية لن تقوم حرب طروادة تصور لنا « هيكتور » وقد عاد مظفراً بعد نصر مجيد . فيلقى المدينة نهباً لقلق شديد : لقد اختطف شقيقه « باريس » « هيلين » زوجة ملك اسبرطة ، وها هى المدينة على عتبة صراع جديد لا مرد له . ولقد أجمع الطرواديون أمرهم على الحرب ، إلا « هيكتور » الذى مل الحرب وسئمها ، والذى يشفق على زوجته « أندروماك » ، التى لن تلبث أن تصبح أماً. فيعقد « هيكتور »عزمه على تجنب الحرب وإنقاذ السلام ، مهما كلفه هذا من ثمن . ويقابل« هيكتور » « أوليس » ، فإذا به هو الآخر يود لو يتجنب الحرب ويغلب العقل والحكمة على القوة والحمق. ولكن محاولاتهما تبوء بالفشل « ويقع الواقع » وتنشب الحرب .

وقد بدا للبعض أن « جيرودو » متشائم ، إذ أن الحرب وقعت رغم كل ما بذل من جهد فى سبيل تجنبها. إلا أن هذا ليس تشاؤماً من جانب « جيرودو » ، بل هو واقعية . إن « جيرودو » يمتثل للواقع المادى للأشياء . إن الحرب — من الناحية التاريخية — وقعت بالفعل ، فكيف يتسنى له أن يغير من الواقع التاريخى . ثم إن الحرب حقيقة لا يمكن إنكارها بغير التزييف والتشويه ، ولقد عهدنا فى « جيرودو » الصراحة والحقيقة . وربما عندما أطلق على

المسرحية « لن تقوم حرب طروادة » إنما كان يعنى أنها لن تتكرر أو ربما كان هذا نوعاً من الأمانى .

اليكترا :

وتجرى أحداث إليكترا فى مدينة « أرجوس » حيث تتولى الحكم فيه، منذ سنوات « كليتمنستر » أرملة « أجاممنون » وعشيقها « اجيست » ، ونرى « إليكترا » ابنة « أجاممنون » و « كليتمنستر » تشعر بحقد دفين نحو آمها و « إجيست ». ويقلق إجيست لتصرفات « إليكترا » ويعتقد أنها « امرأة لها قصص وحكايات ؛ وأنها مخلوقة « تشير إلى الآلهة بإشارات » ، وحتى تكف « إليكترا » عن إثارة انتباه الآلهة نحو « أرجوس » ، فإن « إجيست » بالاتفاق مع « كليتمنستر » يسعى إلى تزويجها من شخص نكرة لا يحمل اسما ولا مجداً ، إنه بستانى القصر .

وفى هذه الأثناء ، يحوم حول القصر شاب غريب لا يلبث أن يكشف « لإليكترا » عن حقيقة أمره . إنه أخوها « أورست » الذى أقصى عن « أرجوس » عندما كان طفلا صغيراً . ويشجع هذا « إليكترا » على التمادى فى البحث عن الحقيقة التى تشغلها وتؤرقها ، ولا تلبث أن تتأكد من أن أمها و « إجست » تآمرا على قتل أبيها . وتحاول الأم عبثاً ، أن تدافع عن نفسها : ويحاول « إجست » أن يقنع « إليكترا » بارجاء إعلان الحقيقة ريثما يتمكن من إنقاذ البلاد من الخطر الذى يتهددها .

إجيست : أتوسل إليك . إنتظرى غداً .

إليكترا : كلا . اليوم يومها . لطالما رأيت حقائق تذوى لأنها تلكأت لحظة . إننى أعرفهن ، الفتيات اللائى تلكأن لحظة عن أن يقلن كلا لما هو دميم ، كلا لما هو قبيح ، واللائى لم يعرفن أن يجبن

بعد ذلك بغير نعم ، ونعم . هنا يكمن ما فى الحقيقة من جمال ومن صلابة ، إنها خالدة ولكنها ليست سوى بارقة .

وتعلن الحقيقة ، فيشد هذا من عزم «أورست» الذى يقتل « إيجست » « وكليتمنستر » . وتنهار « أرجوس » أمام أعدائها . ولكن العدالة انتصرت ، « وإليكترا » على يقين من أن « أرجوس » سوف تبعث من جديد .

وقد تبدو « إليكترا » أغرب من الشخصيات المبتكرة الأخرى التى وردت فى مسرحيات « جيرودو » ، إذ كان بوسعها أن تحقق سعادتها وسعادة الآخرين بكتمانها للسر وسكوتها عن إعلان الحقيقة . ولكن مثل هذه السعادة التى كان من الممكن أن تتحقق ، إن هى إلا سعادة سطحية ، فلا يمكن أن تقوم السعادة على الزيف والتضليل . إن الحقيقة ، رغم ما تتضمنه من إيلام وما قد تجلبه من تعذيب ، هى وحدها التى يمكن أن تحقق السعادة .

إن ما يفعله « سيجفريد » ، لا يفعله كثيرون غيره : فليس هناك مائة مثله يرفضون النفوذ والسلطان ، ويؤثرون عليهما البساطة .

وإن ما فعلته « ألكمين » قد لا تفعله امرأة سواها ، فكم من زوجة كانت تقبل ، بل وتتمنى ما عرضه عليها « جوبيتير » !

وكم عدد الفتيات — مثل « إيزابيل» بطلة انترمتزو — اللائى يتحدين السلطة والقوانين الوضعية ، بل والقوانين البشرية ؟

وأية فتاة أخرى، غير «إليكترا» كان من السهل أن تذعن للواقع ، وتركن إلى الاستسلام .

إن هذه الشخصيات ، ما أن سارت فى الطريق ، لا يهمها إلى أين يقودها هذا الطريق ، بل إنها لا تحاول أن تسأل نفسها عن ذلك أو أن تسأل الآخرين .

وليس من المحتم عليها أن تصل إلى نهاية الطريق، كل ما يهمها هو أن تسير فيه قدماً .

* * *

مفهوم جيرودو للمسرح :

« المسرحية العظيمة فيض من المزايا ، وإذا كان القارىء يبحث عن إيحاءات وتجليات ، فإن المشاهد لا يبحث إلا عن اللذة والمتعة . »

بهذا يخرج « جان جيرودو » على الرأى الذى يقول بأن المسرحية — لكونها مسرحية — لا يمكن الحكم عليها إلا فوق خشبة المسرح . وقد يكون الرأى سليماً ، جزئياً ، ومن وجهة نظر معينة ، ولكنه ليس شاملا ومطلقاً . فإن قراءة المسرحية شيء ومشاهدتها شيء آخر ، وكل عملية من هاتين العمليتين لها أوجه متعتها وجمالها ، بل إن كل عملية لها ملكتها الخاصة بها ، فالقراءة عملية ذهنية ، أما المشاهدة فهى عملية حسية ، وما نسعى إليه بالقراءة لا نحصل عليه بمجرد المشاهدة : فالمشاهدة متعة ، والقراءة استكشاف . ومسرح « جيرودو » خلق من أجل العرض ومن أجل القراءة ، فحقق الهدفين معاً : إنه يخاطب الذهن كما يخاطب الإحساس . وإن المادة التى يقدمها لمن الغزارة بحيث أن الكتاب يستطيع أن ينقل إلى القارىء ما يعجز عنه العرض .

وقد يكون مرجع ذلك إلى أن « جيرودو » بدأ روائياً . فإن استعدادات الروائى قد خدمت الكاتب المسرحى ، فجاء مسرحه متضمناً لما تقدمه القراءة من إيحاءات ذهنية ، وما يحققه العرض من متعة حسية .

وإذا كانت الرواية هى أقل الأنواع الأدبية تقبلا للتخيلات والأوهام، فإن المسرح قد أصبح ، وخاصة مع « ماريفو » و« موسيه » ، أرحب ملجأ لهما وأوسع صدراً بهما . إن ما نطلبه من المسرح ليس تمثيلا للحياة ونسخاً لها ، وإنما تخيلا

للواقع وتوهما له . تقول «فيرا الصغيرة» فى ارتجاليه باريس: «إن المسرح هو أن يتمثل الواقع فى غير الواقع . » إن عالم «جيرودو» أقل العوالم اتفـــاقا مع عالمنا ، فهو يبدو مناقضاً لقوانيننا غريباً عنها ، لكنه عالم حقيقى ، إلا أن حقيقته ليست هى الحقيقة الدراجة ، حقيقة كل يوم ، وإنما هى وليدة الذهن . لذلك فعلى الذهن وحده أن يبحث عن هذه الحقيقة ويتعرف عليها ، ما دام هو خالقها .

إن «جيرودو» فى مسرحه «ينجز» مالا يزال فى عالمنا مجرد «محاولة» .

وهنا يحق لنا أن نتساءل : كيف يتيسر «لجيرودو» أن يخلق هذا العالم، هذا العالم المسحور ، ما وسائله فى ذلك ؟ إن الوسيلة الأولى هى روعة الأسلوب والثانية هى قوة الرؤيا :

إن لغة « جيرودو » ، بصفائها وألوانها ، هى الآلة المعلقة على شفتى العطار فتصدر الألحان ، ألحاناً ، إلى جانب أصواتها ، لها أشكالها وألوانها . فعندما يسأل العطار «إيزابيل»— قبيل ظهور الشبح — عن اسم تلك اللحظة، تجيبه قائلة :

إيزابيـل : قيل لى فيما مضى إنها تسمى لحظة الشفق .

العطار : لم يكذبوك ... ، وعند الشفق ، أى صدى يأتى من المدن الصغيرة ؟

إيزابيل : صدى الأبواق التى تتدرب . (أبواق) .

العطار : إنصتى إليها ... هناك ثلاثة أصوات هى الشوكة الرنانة فى بلدنا ، تمشيط الممرات فى غفلة الفجر ، وطلقة النار بعد صلاة العصر ، والأبواق عند شفق الغروب ....

إيزابيل : إنها تصمت .

العطار : وعندما يصمت آخر الأبواق . من الذى ينتصب وسط الغاب والصفصاف ويعدل من وضع قبعته السوداء ، ويسير خلال السرو والدردار ، مرتكنا على الظلال التى يلفها الليل المقبل ؟

إيزابيل : (مبتسمة) — الشبح ! الشبح !

العطار : (مختفياً) — هيا ... لقد انتهيت !

إن لغة جيرودو هى الشوكة الرنانة التى تنتظم الطبيعة لإيقاعها . إنها العصا السحرية التى يلوح بها فيخلق ما يشاء :

تقول «إيزابيل» وهى تنتحل للشبح عذراً لتأخره : «لا تعتذر . أنا أيضاً لو كنت شبحاً ، لتلكأت عند هذا الشفق وهذه الوديان التى لم أستطع حتى الآن أن أسير فيها إلا بجسد معتم . ولاحتجزتنى هذه الأدغال وتلك الجداول . كل شىء كان سيحتجزنى مما لم يعد يوقف خطواتى . بل إننى ما كنت لأكون هنا ، لو أننى أستطيع ، مثلك ، أن أحتوى بظلى كل مالا أستطيع إلا لمسه أو رؤيته ، وأتخذ لنفسى كهيكل لجسمى ، تبعاً لمزاجى ، عصفوراً قابعاً فوق غصنه أو طفلا ، أو كمكان للإنزواء ، شجيرة ورد برية بأزهارها . إن الاحتواء هو وسيلة الاقتراب الوحيدة .... »

وقوة الرؤيا ، وإن كانت أدنى درجة من روعة الأسلوب ، فإنها تأتى فتكسبه سحراً وقوة تأثير . إن « جيرودو » يتمتع بتلك الرؤيا العجيبة ، رؤيا الشاعر التى تتجسد فيها ، من تلقاء نفسها ، وقد تجردت من كل قيد ، أقل انبثاقات اللاوعى والحلم . إن مسرحه يفتح عالماً ، وهذا العالم ، لكى

يكون غير واقعي وغريباً عن منطق الواقع ، لا يكون إلا أبعد واقعية وأعمق إنسانية .

إن « إيزابيل » ستحب فى زوجها ظله ، ونبرة صوته ، وإشعاعه :

« طبعاً ، سيكون فى صوت زوجى نبرة ، تعجبنى وهى ليست هو ، وسأحبها دون أن أخبره بذلك . وحدقتاه ؟ هل تعتقد يا عزيزى المراقب أننى سأفكر فى زوجى دائماً وأنا أنظر إلى حدقتيه ؟ إننى أريد زوجاً كما أتمنى ماسة ، من أجل البهجة والإشعاع اللذين سيهبنى إياهما دون أن يدرى . ألف شيء فيه سيشير إلى دائماً بإشارات تخونه ، وسيكون الشبح طبعاً أخلص له من مظهره الشخصى » .

إن قوة الرؤيا عنده من الإعجاز بحيث يستطيع أن يتصور مالا يرى ومالا يتصوره بشر الا فى الخيالات والأوهام . إنه يصف نعاس الموتى ! يقول : « أو هذا نوم ؟ هناك حيث يتكدسون ، تستولى عليهم فى بعض الأحيان قشعريرة ما ، ويحركهم اهتمام بالغ ، بحيث يبدو فى الإمكان أن يصدر عنهم انعكاس أو صوت . إن الجدد الذين يصلون فى هذه الأوقات يهيمون فى نوع من الإهتزاز السعيد ، تسكن عليه آخر الخسارة فى حياتهم . إن تمايل الأرض اللطيف يحركهم إلى الأبد . ولكن ، على النقيض من ذلك ، ففى بعض الأحيان تتجمع جمرتهم وتتجمد مثل الثلج وتروح فى ثبات عميق يغرق فيه الموتى الواصلون بنوع من النور ، ذلك لأن نعاس الأحياء بريق وشمس » .

ولذلك كان طبيعياً ومنطقياً أن يتجه « جيرودو » إلى الأسطورة الإغريقية فيجد فيها الصور التى يمكن أن تتجسدها أفكاره . إلا أن هذه الأساطير التى اعتقدنا أنها نضبت ونفد معينها ، لم يلبث « جيرودو » ، عندما تناولها ،

أن كساها نضارة ، وأضفى عليها من روحه وشاعريته ، فإذا بها تفيض حياة وتتدفق عذوبة .

ولقد كان ضرباً من التحدى أن يطرق مؤلف جديد مثل هذه الموضوعات التى تناولها وبرع فى معالجتها أرباب المسرح القديم ، فقد كتب «جيرودو» مسرحية أمفتريون ٣٨ ، ويدل هذا الرقم على عدد المرات التى عولجت فيها . ولكن «جيرودو» جاء فريداً فى نوعه . ثم إن إليكترا التى ألفها «جيرودو» تختلف عن سابقاتها الإغريقيات ، كما أن حرب طروادة لن تقوم تختلف عن ملحمة «هوميروس» . إن هذه الأصول لم تكن بالنسبة «لجيرودو» سوى نقطة انطلاق ، وسرعان ما يعكس عليها ألواناً ويكسبها أبعاداً . ويقول «تييرى مولنييه» فى هذا الشأن : «لقد أعاد «جان جيرودو» للمأســـاة ، على المسرح الفرنسى ، مكانتها وأبعادها الحقيقة . » .

ولكن إذا كان «جيرودو» قد استقى موضوعات مسرحياته من العصور القديمة أو غيرها ، فإننا نستثنى من ذلك مسرحية انترمتزو .

انترمتزو :

وكلمة انترمتزو Intermezzo لفظة موسيقية معناها اللحن الذى يؤدى بين فاصلين من الموسيقى . ولهذا المعنى مدلولات عديدة : فالمسرحية ، من ناحية ، كتبت فى فترة كان «جيرودو» ينزع فيها إلى الراحة والاستجمام من عناء الحياة ومشكلاتها ، أى أنه كتبها بين فترتين من فترات العمل .

ثم إن المسرحية فى مضمونها تمثل الصراع القائم بين العقل والواقع من ناحية ، وبين القلب والخيال من ناحية أخرى ، وكيف أن الحياة الإنسانية لاتستقيم إلا بالتوفيق بين هذين الطرفين وإمساك العصا من وسطها ، واتخاذ موقف وسط أو «بين بين» .

ثم إن بطلة المسرحية تسعى إلى إدماج العوالم المختلفة ، فتحاول أن تكون الواسطة بين عالم البشر وعالم النبات وعالم الجماد ، بل إنها تسعى إلى أن تكون رسول سلام بين عالم الموتى وعالم الأحياء .

وبعد ذلك فإن المسرحية تمثل ، من زاوية معينة ، لحنا موسيقيا تعزفه مجموعة من المخلوقات الساحرة تتخذ لها من الطبيعة مجلسا . والمسرحية كما أسلفت تمثل ذلك الصراع الأزلى والأبدى الذى يقوم بين العقل وبين الخيال وتبين أن السعادة البشرية لاتتحقق بانفراد واحد من هذين المصدرين بالسيطرة. فهى تحكى قصة مدرسة شابة تدعى «إيزابيل» تعمل فى مدرسة للبنات محل زميلة لها متغيبة . وليس فى هذا حرج . إلا أن الشائعات المقلقة لاتلبث أن تنتشر فى الإقليم أن «ايزابيل» تتخير لنزهاتها الليلية أطراف الغابة ، وهى على علاقة بالأشباح ، أجل ، فقد ظهر فى الإقليم شبح قلب الأوضاع فيها رأسا على عقب لقد ربح الجائزة النقدية الكبرى أفقر أهل المدينة ، وليس المليونير الرابح المعتاد ، وفاز بالدراجة البخارية البطل الشاب ، وليس رئيسة الراهبات التى كانت الدراجة تؤول إليها بانتظام ، وشهد أهل الإقليم حالتى وفاة ، كان بطلاها أكبر السكان سنا ، وفوق ذلك فقد كان الأول أكثر أهل المدينة بخلا ، وكانت الثانية أكبرهم شراسة . وفى التعداد الذى يقيمه المركز ، لم يسجل أغلب السكان أولادهم الحقيقيين عندما يكون هؤلاء عاقين لهم ، وإنما ذكروا كلابهم أو طيورهم . وفى باب الزوجة لم يسجل كثيرون زوجاتهم الحقيقيات ، وإنما سجلوا جاراتهم أو من يحلمون بهن ، أو أنثى الحيوان التى يعتبرونها الرفيقة الكاملة . ثم إن الأغنياء زعموا أنهم يسكنون الأطلال ، وادعى الفقراء السعداء أنهم يسكنون القصور .

وكيف لايتهمون «إيزابيل» بالتسبب فى هذه الفضائح ؟ إنها تتلذذ فى

التفريق بين الزوجين غير المتفاهمين ، وتثير بعقاقيرها الجياد ضد الحوزيين الذين تتهمهم بالغلظة ، وترسل خطابات لاتوقع عليها تنال فيها من الأزواج والزوجات وتشى فيها بالقرينات والأقران .

وهى تستعمل فى تدريسها سبورة زرقاء ، وطباشيراً مذهبا ومدادا ورديا . وتجعل من الصفر أعلى درجة وتعلم بناتها أن الشجرة هى شقيق الانسان غير المتحرك ، وأن الوردة هى أنبل نصر له . ولا تعاقبهن على مرحهن . وفوق هذا كله فإنها فى كل مساء ، فى حوالى السادسة ... تهرب من طرف المدينة ، وقد بدت عليها هيئة من يتظاهر بحمل المؤن إلى هارب فى مخبئه ؛ ولكن وجهها يكون أكثر نضارة وعينيها أكثر اتقاداً ، وفى نفس الوقت أكثر ذبولا ، وبما أن يديها تكونان فارغتين ، فمما لا يدع مجالا للشك أن المؤن التى تحملها إلى هذا اللاجىء ، هى ذلك الدم ، تلك الحياة ، ذلك الحنان .. باختصار وجبة شبح . وربما كان معها الحلو أيضا » .

بل ولا تكتفى بذلك : إنها تلوم الشبح لأنه لايصحب معه عند مجيئه جميع الموتى الآخرين . فيفيض الكيل ، وينهض المفتش بنفسه ليوقف زحف هذا التيار الخطر ، لأنه « ... ما أن تلوح ظاهرة لايمكن تفسيرها بين نباتات المنطقة أو حيواناتها وحتى فى جغرافيتها إلا ويأتى المفتش ويعيد النظام » .

وليس المفتش وحده من ينزعج لمثل هذه الحال ، بل إن الأحياء جميعا لم يرحبوا بها عندما علموا بما ينتظرهم من أنهم سوف يرون أمواتهم من جميع الأعمار يعودون ويعيشون معهم ولا يفارقونهم أبدا . فقد قال رئيس المحكمة إنه يكره المذياع . وقال موثق العقود إنه يعرف عددا لابأس به من الموتى عندما كانوا أحياء ، وأنهم لم يكونوا جميعاً فضلاء . وقال قائد

المطافىء إنه ما كاد يستقر فى بيته بعد الحرب . وأجاب أمين المحفوظات بأن الموتى سيلخبطون له كل شىء . حتى العمدة لايحب أن يمارس هوايته تحت وقع أنظار أسلافه .

إن «إيزابيل» إذن جانية ، متآمرة يجب أن يوقع عليها العقاب . والاقليم على أبواب خطر وبيل فيجب إنقاذه . فيبعدون «إيزابيل» عن التدريس ، ويتربصون بالشبح حتى يخلصوا الإقليم من بدعه وأفاعيله .

وهنا يحق لنا أن نتساءل : هل «إيزابيل» تعانى من علة أو مرض خبيث ؟ هل هى مختلة العقل حتى تتصل بالأشباح وتحاول الهروب من عالم الأحياء ؟ «إن كل ما فيها حقيقى ، حى » هكذا يصفها العمدة ، والعطار يصفها بأنها «إنسانة حية ، أرضية» ويقول: « إن إيزابيل على قدر من البساطة والصراحة . . ليس فى نفسها شىء غامض ولا فضول سابق لأوانه . إنها أمام أى شخص أو أى شىء تبدو وكأنها مفتاح يفسر ما أغلق فهمه » وفوق ذلك ، فهى ناجحة فى وظيفتها كمدرسة ، فهى تتبع طرقا تربوية حديثة إذ تصحب تلميذاتها إلى الهواء الطلق وتصلهن بالطبيعة ، وتحاول ألا تبذر البغضاء بينهن بالتفريق فى معاملتهن . وإذا كانت تستخدم الطباشير الملون والسبورة الزرقاء ، فذلك لكى تجذب انتباه التلميذات وتشوقهن إلى الدرس . وإذا كانت تعلمهن أن الصداقة والسلام يسودان بين ألمانيا وفرنسا ، فذلك لتبين لهن أن الشر ليس له وجود . وإذا كانت تعلمهن أن الشجرة هى شقيق الإنسان غير المتحرك ، فذلك لتصور لهن العالم وحدة واحدة ، وهى بهذا تؤيد الرأى القائل بأن للنبات وللجماد أرواحا لاتتكشف إلا لصفوة البشر .

وتنقلنا هذه الفكرة إلى الحديث عن العالم المسحور الذى يفتحه أمامنا

«جيرودو» . إن عالم العقل ملىء بالشر وحافل بالحمق . فلجأ «جيرودو» إلى الخيال فخلق له عالما شاعريا تكسوه الخضرة وتلمع فى سمائه النجوم ، وتتنقل بين أرجائه الجنيات والأشباح ، ويضفى عليه ضوء القمر سحرا وعذوبة ، فإذا نحن أمام سيمفونية من الألوان والأصوات . إننا لنكاد نسمع صوت «جيرودو» يتحدث بلسان «إيزابيل» وهى تقول : «إننى أحرص ، ياسيدى المفتش ، على ألا يؤمن هؤلاء الأطفال بظلم الطبيعة . فأنا أعرض لهن كوارثها الكبرى على أنها أحداث مؤسفة فعلا ، ولكنها ضرورية للحصول على عالم يبعث على الرضى فى مجموعه» . وسكان هذا العالم صفوة مختارة ، بل إن رموز الشر ومعانى الشقاء يلبسها «جيرودو» ثيابا جديدة ملونة مزركشة تبعث على البهجة والانشراح . فالقدر الذى يسبب المصائب ويثير البراكين ليس ذلك القدر التقليدى الذى يضرب ضرب عشواء ، وإنما هو مجمع الألوان المتجانسة ، وهو إذ يقوم بهذه الوظيفة ، فإنه لا يريد بالبشرية شرا ، وإنما يحفظ للعالم تعادله وانسجامه .

والموت فى هذا العالم السحرى ، ليس ذلك الغول المخيف الذى لايتقهقر ، ولا يتردد ، ولا يخضع لشجاعة ولا عدل ولا حظ . ولا يفرق بين قوى وضعيف ، ولا بين طيب وخبيث ، ولا بين شهم وجبان . والذى لاينفق وقتا ، قبل أن يضرب فى تقدير ما إذا كان الإنسان محبا أو محبوبا . كلا ، إن الموت ليس ذلك المخلوق المخيف الذى يحمل الرعب والخوف ، ولكنه شىء جميل جذاب ، يتحدثون عنه وكأنه عالم مسحور يتوق السامع أن يرتاده ويصبح من سكانه . إن «إيزابيل» تشعر بصداقة غريبة تربطها بالموتى وتعمل على تبديد الحواجز التى تفصلهم عنها . إنها تتصورهم يقولون عنها وقد برح بهم الشوق إليها : «هيا بنا نرى إيزابيل ، إنها فى انتظارنا» . وهى

فى إنتظارهم حقا ، بل إنها تتعجل حضورهم : «ألم يوجد بعد بين الموتى ميت عبقرى ، ميت يستطيع أن ينشر بين جماهير الموتى الوعى بقوتها وبواقعها» . «ولكننى أتصور أنه ربما يكفيهم قدر قليل من العزيمة ومن الانشراح لكى يفروا ويأتوا إلينا . ألم يوجد بينهم شخص واحد يرغبهم فى ذلك ؟ »

إن مفهوم الموت عند «جيرودو» مفهوم رواقى ، إنه ليس شرا ، بل هو تغير كغيره من التغيرات التى تطرأ على المادة .

ثم إن الشبح فى هذه المسرحية ليس ذلك الشيء المخيف الذى يفزع لذكره كل كبير وصغير ، وهو ليس شرا مستطيراً نفر منه ونتجنب لقاءه ، بل على العكس من ذلك تماما ، إنه جميل الصورة ، حسن الهيئة ، رقيق العبارة ، تسعى «إيزابيل» للقائه وتحرص عليه ، وتتحمل فى سبيل ذلك ما يروج عنها من شائعات ، وما يصيب حياتها العامة من أضرار . بل إن البنات الصغيرات يألفن هذا الشبح ، ويبتهجن لرؤيته ، ويتفاهمن معه ، ويدركن مايقوم بينه وبين مدرستهن الشابة ، ويتلذذن بالحديث عنه .

وفى هذا العالم الجميل الذى يصوره «جيرودو» فإن الرابع عشر من يوليو هو مرسيليا المشمسة . وليس فى هذا العالم صراع قائم بين فرنسا والمانيا ، وإنما الذى يسود بين هذين البلدين هو : « الصداقة الأبدية والسلام» . ومارسييز البنات فى هذا العالم تتغنى بوطن يكون لهن فيه زوج فى المستقبل ، ولا أهمية لاسمه بشرط أن يعرف كيف يحب وكيف يكون أنيقا فى ثيابه .

إلا أن أحب سكان هذا العالم المسحور إلى «جيرودو» وأقربهم إلى قلبه هن الفتيات. يقول «جيرودو» على لسان أحد أبطاله : «إن الفتيات وحدهن كن

يجذبنى » إنه يعمر بهن كوكبه ويجعل منهن مبعث سحره وجماله . إنه يختارهن جميلات نضيرات ، شابات بين الخامسة عشرة والعشرين ، أما الدميمات فلا يدخلن هذا العالم . « إن النضارة والعزة ، والحياء والوداعة كانت وحدها تجتذبنى . إن « اجلانتين » وهى نائمة تبدو أحيانا وكأن شمس الليل قد كستها بنورها ، ثم تعود إلى ظل الظل . » وعندما يتحدث « سيمون » عن جمال « آن » يجد أن « كلمة الجمال لاتكفى ، ولا كلمة الشباب ، ولا كلمة الكمال . » و « إيزابيل » تفوق كل أخواتها جمالا وسحرا . إنها تشبه انتصار « ساموتراس » فى رأسها ، « وفينوس ميلو » فى ذراعيها ، ودم الرمان يلون وجنتيها ، ودم التوت يلون بسمتها . وهى رشيقة الخطى . فسواء سارت على الحصى أو على العوسج ، فلا يكاد يسمع لها صوت .

وهن من فرط شاعريتهن وبساطتهن وطهرهن يتبرمن بالواقع الرتيب الممل ، لايرضين بشروره وآثامه ، فينزعن إلى التحليق فى عالم من الخيالات والأحلام والأوهام ، حتى أن بعضهم وصف فتيات « جيرودو » بأنهن فوق البشر . وإذا كانت هذه الصفة تنطبق على بطلات « جان جيرودو » ، فأحرى بها أن تنطبق على « إيزابيل » ، تلك الفتاة التى تسعى إلى الهروب من عالم الأحياء ، وتتصل بالأشباح ، وتحاول أن تبعث الموتى من قبورهم ليعودوا إلى الحياة من جديد . الأمر الذى أقلق المراقب — وهو الشخصية التى تمثل الاعتدال والذى أصاب « جيرودو » عندما جعل منه مراقبا للموازين والمقاييس — فراح يحذر « إيزابيل » من التمادى فى هذا الطريق والتوغل فى متاهاته مبينا لها سوء العاقبة : « إيزابيل ، إياك أن تمسى أطراف الحياة الانسانية ، حدودها . إن عظمتها فى كونها مختصرة وزاخرة بين هوتين ، معجزتها فى كونها متعددة الألوان ، سليمة ، حاسمة بين لانهائيات وفراغات .

فما أن تدخلى فيها قطرة ، قطرة واحدة من دم الظلمات ، حتى تواجهى النتائج التى يواجهها ذلك الذى يسكن عالمنا الأرضى ، فيحدث ، أثناء قيامه بتجربة منحوسة أو بتحضير معدن أثقل أو بطريقة مبتكرة للضحك أو العطس ، أن يفسد جاذبيتنا . إن أقل لعب فى العقل الإنسانى يضيعه ، إن كل إنسان يجب ألا يكون غير حارس على أبوابه . وقد تخدعين إذ تفتحين لدفعة أول قادم من الموتى » .

إن الجنة الصناعية التى خلقها « جيرودو » قد تتحول إلى جحيم ، إذا نحن تعجلنا الوصول إليها ولجأنا فى سبيل ذلك إلى « المحظور » . عندئذ لابد من تدخل العقل . « وجيرودو » لايبخل بالعقل على أبطاله عندما يشرفون على الخطر ، ولا يكون هناك بد من تدخل العقل . وتدخل العقل أمر ضرورى ومفيد ، لكنه لايخلو من كآبة . فإذا كانت « إيزابيل » قد قبلت الحياة بصحبة المراقب — مع أن حياته لاتخلو من الخيال والفجائية — فقد أسفت على اختفاء الشبح « شبحنا المسكين ! » . ولا أدرى كيف أصر على عقد مقارنة بين جنة « جيرودو » الصناعية وجنة « بودلير » الصناعية .

إن هذه الجنة ، عندما نكون حكماء ، نستطيع أن نستخلص منها الضمان لحياة أفضل والأمل فى بلوغها عن طريق الممارسة اليومية لإرادتنا » أما إذا اندفع الانسان ، دون مراعاة لغير اللذة العاجلة ، وراح يخرق قوانين تكوينه ، ويبحث فى « المحظور » (وهو فى جنة بودلير « العقاقير » ، وفى جنة « جيرودو » التمادى وراء الخيال) عن وسيلة للحصول على الفردوس دفعة واحدة ، كما يقول مؤلف « لازار » فإنما هو يجازف ببيع نفسه ، ويقامر من هو أدهى منه وأقوى ، ويفوته أن هذه القوة « حتى عندما لانسلمها غير شعرة ، لاتلبث أن تستولى على الرأس كله . »

إذن فأين السعادة ؟ إن أبطال «جيرودو» ، بعد حياة عاصفة ، حافلة بالمغامرات والمحن ، يعودون من رحلتهم الطويلة وقد أدركوا معنى السعادة :

إن «سيمون» يرى أن السعادة إنما هى فى الامتثال للنظام .

واكتشفت «سوزان» أن سعادة «بيلا» ، مع حدودها الجميلة واستقرارها أفضل من أجمل هروب فى عالم الأحلام .

و «سيجفريد» بعد حياته العاصفة ، يختار فى النهاية أن يعود إلى أصله الأول ، بورجوازيا ليموزينيا يسير بين أوراق الأشجار المتساقطة فى غابة الطفولة ، مفضلا هذا على العظمة والسلطان فى دولة ليست وطنه . فأسلم للإنسان وأضمن له أن يتقبل الوضع الطبيعى للأشياء . إن «جيرودو» يفضل البساطة والسذاجة على المغالاة والتهويل ، والقناعة على استغلال أمجاد الآخرين . ويفضل فصاحة القلب على البلاغة المهيبة . إنه يدعو المشاعر البالغة إلى الاعتدال والحقيقة ، ويدعو عظماء الرجال إلى التواضع والاعتدال ، ويدعو الفتيات إلى الوداعة والطهر ، ويدعو كبار السن إلى انتظار الموت فى غير إشفاق ولا قلق .

الميتافيزيقية والرواقية عند جيرودو :

إننا ، وبعد أن استعرضنا أهم أعمال «جيرودو» المسرحية ، وبعد أن تحدثنا عن مفهومه للفن المسرحى ، نستطيع ، دون التوغل والتعمق فى مفاهيم فلسفية ليس هذا مجالها ، أن نقول – بصفة عامة – إن «جان جيرودو» يبدأ من الميتافيزيقيا وينتهى إلى الرواقية . وقد يبدو هذا للبعض غريبا عجيبا فى بادىء الأمر ، ولكن هذا العجب يزول بمجرد أن نعرض – فى إيجاز – لمعنى الميتافيزيقية وفروع بحثها والرواقية ومفاهيمها.

كلنا نعلم أن الميتافيزيقية كلمة يونانية مكونة من لفظين : ميتا meta ومعناها «بعد» ، وفيزيك physique ومعناها «الطبيعة» وهذه التسمية «بعد الطبيعة» ليست تعريفا للميتافيزيقية وإنما ترجع إلى أن «أندرو نيقوس الروديسى» فى ترتيبه للكتب ، وضع الكتب الطبيعية أولا ، ثم وضع بعدها الكتب التى تتصل «بالفلسفة الأولى» وهى التسمية التى كان يطلقها «أرسطو» على هذا الفرع من العلم .

ولن نخوض هنا فى البحث عن موضوعات الميتافيزيقيا المختلفة (الوجود والمعرفة ، والقيم) إن ما يهمنا هنا بصورة أخص هو الموضوع الذى يعتبر أقرب من غيره إلى روح الميتافيزيقيا ، وهو المشكلات العويصة (التغير ، والثبوت ، والجوهر ، والوجود ، والوحدة ...) إلى آخر هذه المشكلات التى حار الفلاسفة فى الوصول إلى حل لها .

وعلى هذا تصبح الميتافيزيقيا هى الشعور بوجود المشكلة ومعرفة كل ما يتصل بها من آراء بغية الوصول إلى حل لها .

وليس المهم أن يصل الفيلسوف إلى حل للمشكلة ؛ ولكن المهم هو تحديد المشكلة وعرضها وتحريكها .

أما الرواقية فهى فى الأصل مذهب سلوكى . يرى أن الفضائل الإنسانية تحكم السلوك ، وأن هذه الفضائل يجب أن تساير قوانين الطبيعة ، وأن الإنسان إذا عارض قوانين الطبيعة لايسلم من العقاب : ولما كانت الطبيعة تسير وفق عقل مدبر ، فإن الالتزام بقوانين الطبيعة هو التزام بما يمليه العقل المدبر الذى يعتبر عقل الانسان صورة مصغرة منه .

ولا يرى الرواقيون فى الطبيعة شرا ، ولكنهم يشيرون إلى الشر دائما بعبارة «مانسميه شرا» ، ويرون أن حكمنا بوجود الشر إنما هو حكم

ناتج عن أننا لانعرف من الكون إلا القدر الضئيل وأن معرفتنا هذه ناقصة ، وأن جملة المعارف والخبرات الإنسانية لا تكفى لأن نحيط علما بالوجود كله ، وهم يرون أن الأشياء جميعا تتغير وتتحلل ثم تتركب أشياء أخرى . والموت ما هو إلا تغيير يطرأ على الكائنات الحية ، فإذا أطلقنا عليه شرا كان لزاما علينا أن نطلق على كل تغيير يقع فى الحياة شرا .

الميتافيزيقيا إذن هى بحث المشكلات العويصة

والرواقية هى امتثال للواقع ، واتباع للطبيعة .

وشخصيات «جيرودو» ، كما رأينا ، تحلق فى الخيال وتزج بنفسها فى المشكلات العويصة . ثم هى فى النهاية تمتثل للواقع وتعود إلى طبيعة تكوينها ، وهو الطريق الوحيد الذى يضمن لها سعادتها :

إن عالم « جان جيرودو » هو عالم الحب والصداقة والسلام . إنه عالم ما قبل الخطيئة ، فيه يعيش الطيب والخبيث ، الذئب والحمل ، الثعبان والتفاحة . وليس هذا غريبا على رجل عمل بالسلك الدبلوماسى حتى قبيل وفاته . إن «جيرودو» رسول سلام يسعى إلى التوفيق بين الناس فى عالمهم ، وبينهم وبين غيرهم من المخلوقات فى العوالم الأخرى . إن مسرحية سيجفريد ما هى إلا «مسعى» للتوفيق بين شعبين وبين حضارتين وامفتريون ٣٨ محاولة لعقد صداقة بين عالمين مختلفين .

وإذا كانت أوندين هى قصة حب بين طبيعتين وصداقة بين عالم الإنس وعالم الجن ، فإن انترمتزو هى قصة هذا الحب وهذه الصداقة بين عالم الأحياء وعالم الأموات .

. . .

إن إعجاز «جان جيرودو» يكمن فى أنه يغلف الفكرة الإنسانية الصريحة، والمشاعر الطبيعية الحية فى لغة تبلغ من الصنعة حدا جعل البعض يتهمونه بالحذلقة والفيقهة. وهو فى هذا إنما يخلص لفلسفة التعادلية التى تسم كل ما يتصل به. فاذا كانت الحياة قاتمة، تبعث على القنوط، وإذا كان هو لايملك أن يغير من واقع الأمور شيئا، فلا أقل من أن يعبر عن هذا الواقع القاتم القاتم بلغة مرحة منطلقة. وهو فى هذا أشبه ما يكون بالصيدلى الذى يقدم الدواء المر فى صورة مقبولة. ولماذا نذهب بعيدا ولا نقول إنه يشبه «العطار» فى مسرحية أنترمتزو؟

وبهذا يجعلنا نتقبل الحياة مبتهجين لها، ونمتثل للواقع راضين به، ونخضع للقدر فى غير سخط عليه أو تبرم به.

ومما لاشك فيه أن هذا الإعجاز اللغوى لايتكشف تماما لمن يقرأ «جيرودو» فى غير لغته الأصلية. ولكن هناك إعجازا آخر وهو أن «جيرودو» كاتب لاينحصر فى دائرة معينة يمكن تحديدها. إنه، إذا جاز هذا التعبير — كاتب «شمولى».

إن «جان جيرودو» لاينحاز إلى مذهب معين فى الفن، ولا يناصر نظرية معينة فى الأدب. إنه يجمع فى عالمه الأشتات والأضداد. وهو إذا كان كاتبا من كتاب القرن العشرين، فإنه لا يحصر نفسه بين قوسى هذا القرن، وإنما يمد يده يلتقط من كل عصر من عصور الأدب، حتى بلغ أدبه من غزارة المادة حدا أصبح معه أشبه بالسيمفونية.

فبين أدب العصور الوسطى وبين روايات «جيرودو» ملامح مشتركة يسهل إدراكها إذا قارنا بين أبطال رواياته وبين «لانسيلو البحيرة»، وبين «سيمون» العاطفى و«بيرسيفال»، بالإضافة الى الطابع الابتداعى الذى يصبغ روايات العصور الوسطى وروايات «جيرودو».

أما القرن السابع عشر فإن وشائج القربى بينه وبين «جيرودو» كثيرة ومتعددة . «إن جان جيرودو» يذكرنا بالشاعر العظيم «لافونتين»، من حيث أن كلا منهما ينجذب نحو الطبيعة يصورها ويجعل منها مسرحا لكثير من أبطاله . ولم يكن غريبا أن يهتم «جيرودو» بـ«لافونتين» ويقوم بدراسته .

ثم إن «جان جيرودو»، من وجهة نظر معينة ، يعتبر باعثا لروح الحذلقة التي كانت سائدة فى منتديات القرن السابع عشر. إن «جيرودو» يتأنق فى اختيار اللفظ وتنميق العبارة ، ثم إنه لايسمى الأشياء بأسمائها . ولكن «جيرودو» لا يأخذ من هذه الحذلقة إلا بالقدر الذى يحفظه من التردى إلى درجة الإسفاف ، وهو إذا كان لايسمى الأشياء بأسمائها ، فإنه لايريد أن يضع قاموسا خاصا به ، وإنما هو يلعب بالألفاظ فى مهارة ، ويخلط بين التصريح والمداراة ، وينتقل بين الوضوح والغموض ، الأمر الذى يذكرنا «بماريفو» . ثم إن رجوع «جيرودو» إلى العصور القديمة يستقى منها موضوعات مسرحياته ، وبساطة الموضوع الذى تقوم عليه المسرحية ، وانجذابه نحو الجنس الآخر ، كلها ملامح نجدها فى مسرح «راسين» .

وبالإضافة إلى السمات التى يمكن أن تقرب بين «جيرودو» و«ماريفو» فإن هنالك صفة أخرى أهم وأعظم تقرب بين «جيرودو» وبين القرن الثامن عشر : وهى صفة العالمية التى كانت سائدة فى ذلك القرن والتى يتسم بها مسرح «جيرودو» ، إن جيرودو ، شأن فلاسفة القرن الثامن عشر (فولتير ، مونتسكيو ، ديدرو) يرفض التعصب ، وينبذ الانعزالية وينزع إلى عالم متفاهم تسوده الألفة والمحبة .

ومن القرن التاسع عشر يأخذ «جيرودو» الروح الرومانسية والطابع الشاعرى الذى تصطبغ به مؤلفاته .

ثم إن نزهات «سيجفريد» و «إيزابيل» تذكرنا بشطحات «روسو» «وشاتوبريان» .

وفوق ذلك، فهناك وشائج قربى وثيقة بين مسرح «جيرودو» ومسرح «موسيه». فعند الكاتبين تسود روح الدعابة ويتمتع الخيال بدور كبير، ويختلط الظرف والروعة بالطابع التأثيرى .

أما عن القرن العشرين، فيكفى أن «جيرودو» من أبنائه، وعاصر كثيرا من أحداثه وبخاصة الحربين العالميتين وتأثر بهما . كما عاصر المذاهب الفكرية والفلسفية التى كانت سائدة فى مطلع هذا القرن . ثم إنه لابد وقد قرأ «الجراندمون» ، وعاش فى عالم «آلان فورنيه» المسحور. وبالإضافة إلى ذلك فان «جيرودو» – شأن «مارسيل بروست» – لا يرفض الفكرة القديمة التى تقول بأن للنبات والجماد أرواحا لاتتكشف إلا لصفوة البشر . وأخيرا فقد كان «جيرودو» معاصرا لمعظم كتاب هذا القرن ، وهو رائد للمسرح أخذ عنه كثيرون من أقطاب المسرح المعاصر ، «سالاكرو» و«جان أنوى» و«كوكتو» وغيرهم .

و «جيرودو» يقبل فى عالمه الطيب والخبيث والخير والشر بصرف النظر عن طريقته فى هذا القبول ، وهو يتقبل فى هذا العالم الموت كما يتقبل الحياة . إن الحياة جميلة ولكننا لايجب أن نبتئس لنهايتها . والشباب جميل ، ولكن الشيخوخة أيضا لها جمالها .

وفى عملية جمع الأشتات هذه فإن «جيرودو» يسعى للتوفيق بين العقل والعاطفة دون النيل من أحدهما على حساب الآخر . إنه يؤيد العقل فى غير تعصب ، ويقبل العاطفة فى غير تحيز . فهو يرى أن العالم لايستقيم إلا بالتوفيق بينهما .

وبعد ذلك فإن «جيرودو» لم يطرق نوعا أدبيا دون غيره . فلقد كتب

القصة ، والنقد ، والمسرحية . وإذا كان بعد كتابته لمسرحية سيجفريد قد انصرف إلى المسرح ، فإنه عالج المأساة كما عالج الملهاة . بل إنه فى المسرحية الواحدة يخلط بين المأسوى والهزلى ويمزج القتامة بالمرح .

إن هذا الموقف الشمولى الذى يتخذه « جيرودو » من كل شيء — إذا كان لابد من أن يتخذ موقفا — يمتد إلى الحضارات المختلفة . إن « جيرودو » يعتنق الأرض ككل . إن تردد « سيجفريد » ليس بين نظامين للحكم ، وإنما بين فكرين ، بين تراثين أدبيين : « جيته » و« شيلر » من ناحية و« هوجو » و « كورنى » من ناحية أخرى بين الفيلدوبيل « جريم » وبين الكابورال « لافونتين » إن « راسين » فى رأيه ليس شاعرا وحسب : إنه حضارة . و« مونتانى » : هو بضعة أفدنة من الكروم تحت الشمس ، إنه لهجة ، رائحة ، عطر ، أسطح إردوازية رقيقة على شاطىء نهر ، فلاح يحسب محصوله ، وكيل يوقع على بريده ، الموافقة العامة ، الرابع عشر من يوليو ... لأن الثقافة ليست تجريدا معفرا بالتراب يطرق خيال بعضهم : إنها حقيقة جسدية ، حية ، بل هى دم الوطن » . « إن خط « ديكارت » وخط « فاجنر » سيبقيان بعد خط « ماجينو » وخط « سيجفريد » » .

ولا يكتفى « جيرودو » بأن يكون رسول سلام بين أمتين ، بين حضارتين ، ولكنه يحاول أيضا أن يقوم بهذا الدور بين العوالم المختلفة : الأحياء والاموات (انترمتزو) ، الإنس والجن (أوندين) الآلهة والبشر (امفتريون) .

حتى لغة « جيرودو » لاتخلو من عملية المزج والتصنيف التى تسم كل ما يتعلق به . إنه ليس بشاعر ، وكذلك فإن ما يكتبه ليس نثرا عاديا . إنه يتأرجح بين الشعر والنثر وكأنه يعتبر الاقتصار على إحدى الطريقتين نوعا من التعصب والتحيز .

وحتى النهايات التى يضعها « جيرودو » لمسرحياته ، هذه النهايات لاتعتبر

حلا قاطعا ، أو رأيا فاصلا . إنها مجرد نهاية ، لأن المسرحية لابد وأن تكون لها نهاية . ولكن هل هذه النهاية هى النهاية الوحيدة ؟ أبدا ! إن جميع مسرحيات «جيرودو» يمكن أن توضع لها نهايات أخرى ولا يكون فى هذا إخلال بالتطور الدرامى . إن «سيجفريد» كان من الجائز أن يفضل البقاء فى المانيا حيث المجد والشهرة . و«إليكترا» كان من الممكن أن تتكتم أمرها ولا تعلن الحقيقة . «وإيزابيل» ، كان من اليسير جدا ألا تمتثل للواقع وأن تتمادى فى علاقتها بالشبح إلى الدرجة التى تتغير معها نهاية المسرحية . وكان من الجائز كذلك أن يقنع «جوبيتير» «ألكمين» فتهجر زوجها .

وهكذا فان «جيرودو» يعتبر أقل الكتاب «مذهبية» إنه لايقيم أى نظرية ؛ ولا يعتنق أى مذهب ، إلا إذا اعتبرنا الطريقة الشمولية التى ينظر بها للأشياء مذهبا أو نظرية . إن أدبه على حد تعبير «جان مودوى» : «.. هو الوحيد الذى أعرف أن به قدرا معتدلا من الشعر يهذب ريش القبرة وشارب مراقب الموازين والمقاييس . وقد يلجأ غيره لتحقيق ذلك إلى رسائل أدبية ، أما عنده ، فلا شىء غير الحب . إن كلا يعطى مايستطيع :

« إن سخاء «جيرودو» يسمى شعرا ، ومرحه يسمى شعرا ، وعنفه يسمى شعرا . »

ومن أدرانا ، لعل أدب «جيرودو» يتضمن ملامح من آداب القرون القادمة لم تتضح بعد . وربما استطاعت أجيال المستقبل أن تكشف عن عوالم جديدة ، لأننا كلما ابتعدنا عن الأدب كلما زاد قربنا منه .

فى ٣١ من يناير سنة ١٩٤٤ ، نال «جيرودو» حقه «حقه فى الموت» وكمراقب الموازين والمقاييس فى مسرحية انترمتزو ، استطاع «جيرودو» أن يموت وهو على يقين من أنه سوف يعود «ظلا كاملا» .

حمادة ابراهيم

انترمتزو

"بين بين"

ملهاه من ثلاثة فصول

تأليف : جان جيرودو

ترجمة : حمّاده ابراهيم

شخصيات المسرحية

وتوزيع الأدوار

الدور	Rôle	الممثل	Acteur
إيزابيل	Isabelle	فالنتين تيسييه	Valentine Tessier
أرماند منجبوا	Armande Mangebos	كريستيان لورى	Cristiane Laurey
ليونيد منجبوا	Léonide Mangebois	ريمون	Raymone
المراقب	Le Contrôleur	لوى جوفيه	Louis-Jouvet
المفتش	L'Inspecteur	فيليكس أودار	Felix Oudart
العمدة	Le Maire	رومان بوكيه	Romain Bouquet
العطار	Le Droguiste	روبير لوفيجان	Robert Le Vigan
كامبرون	Cambronne	الكساندر رينيو	Aelxandre Rignault
كرابوس	Crapuce	أندريه مورو	André Moreau
الشبح	Le Spectre	بيير رينوار	Pierre Renoir
البنات :	Les petites filles:		
لوس	Luce	أوديت جوايو	Odette Joyeux

جيزيل	Gisèle	سونيا بيسيس	Sonia Bessis
ديزى	Daisy	جانين جولى	Jeannine Joly
جيلبيرت	Gilberte	أنى رازاما	Annie Rasamat
إيرين	Irène	جيزيل فانيل	Gisèle Vanel
نيكول	Nicole	فرناند دافيد	Fernande David
مارى – لويز	Marie-Louise	جانين كامب	Jeannine Camp
فيولا	Viola	مونيك بوفيل	Monique Povel
الجلادان	Les bourreaux		

قام بدور الشبح الممثل «بيير رينوار» . أما دور المراقب فقد قام بد «لوى جوفيه» .

قدمت هذه المسرحية لأول مرة على مسرح لوى جوفيه(الكوميدى دى شانزيلزيه) يوم الخميس ٢٧ من فبراير ١٩٣٣ وقام بالتوزيع الموسيقى لها الموسيقار «فرنسيس بولين» .

الفصل الأول

(الريف . مرج جميل . آجام . المساء تقريبا)

المشهد الأول

(العمدة ثم العطار)

العمدة : (داخلا بمفرده صائحا) — أوه ! أوه ! ... قطعا ، المكان غريب . ولا أحد يجيب ، حتى ولا الصدى ... أو ، ! أوه ! .

العطار : (داخلا وراءه) — أوه ! أوه !

العمدة : لقد أفزعتني يا عزيزي العطار .

العطار : عفوا يا سيدي العمدة ، هل ظننت أنه هو ؟

العمدة : لا تمزح ! فإنني أعلم تماما أنه قد لا يكون له وجود ، وأن من يدعون أنهم التقوا به في هذه المناطق ربما كانوا جميعا ضحايا وهم خاطىء . ولكن عليك أن تسلم بغرابة هذا المكان !

العطار : فلماذا اخترته للقائنا ؟

العمدة : لنفس السبب الذى من أجله اختاره هو . لكى نكون بمنأى عن أنظار الفضوليين . ألا تشعر فيه بضيق ؟ .

العطار : أبدا . فكل ما فيه هادىء ، ويكاد المرء يعتقد أنه فوق أرض ملعب للجولف.

العمدة : إننا لا نلتقى بمثله أبدا فى ملاعب الجولف؟

العطار : قد نلتقى بمثله فيما بعد ، عندما يتراكم ، من كثرة مرور لاعبى الجولف ذهابا وإيابا ، ذكورا وإناثا — ومن دبال(1) الكلمات المألوفة ، والاعترافات الصادقة ، وبقايا لفافات التبغ ، والشربيات ، والمنافسات والتعاطفات ، عندما يتراكم من هذا كله تلك الطبقة التى لا بد منها لتهذيب أرض لا تزال على طبيعتها . أما الآن فان تلك المناطق الجميلة ، المرتفعة ، المحروسة ، لهى دون ريب أقل المناطق سوء تأثير ! ... لاسيما وقد زرعت نجيلا إنجليزيا ، أعنى نجيلا محملا بأقل قدر من الغموض ... ليس فيه بنج ، ولا قنطريون ، ولا فرتادين ... وصحيح أن

---

(1) البقايا المتحللة من النباتات .

لديكم ها هنا هذه النباتات ، كما أرى ، وحتى اليبروح (١) .

العمدة : أصحيح ما يحكى عن اليبروح ؟

العطار : فيما يتعلق بالإمساك ؟

العمدة : كلا ، فيما يتعلق بالخلود ... من أن الأطفال الذين يحمل بهم فوق يبروحه من أب مشنوق ، يصيبهم مس من الشيطان ، ويعيشون أبدا ؟

العطار : لكل رمز سبب . ويكفى أن نفسره .

العمدة : ربما يواجهنا رمز من هذا القبيل .

العطار : وكيف يظهر عادة : نحيفا ، مشوها ؟

العمدة : كلا ، طويلا ، جميل الوجه .

العطار : هل شنق أحد فى المقاطعة ، فى الماضى؟

العمدة : منذ أصبحت عمدة ، لم أصادف غير حالتى انتحار . زارع كرومى الذى قتل نفسه بطلقة من المدفع المذيب للبرد ، والبقالة العجوز التى شنقت نفسها ، ولكن من قدميها .

العطار : لابد من مشنوق ذكر عمره بين العشرين والأربعين

---

(١) تفاح الجن : ويطلق عليه سراج القطرب واللفاح . « المترجم »

ولكننى بدأت أعتقد أن هؤلاء السادة قد ضلوا طريقهم ، لقد حان موعد الاجتماع .

العمدة : ليس هناك ما نخشاه . فقد رجوت مراقب الموازين والمقاييس أن يقود المفتش ، وبذلك سنشكل نحن الأربعة اللجنة المكلفة بالتحقيق فى الموضوع .

العطار : إن لجنة من ثلاثة أعضاء كانت تكفى تماما .

العمدة : ومع ذلك فإن مراقبنا الشاب لطيف جدا .

العطار : لطيف جدا .

العمدة : وشجاع ! ففى أثناء عشائنا يوم الأربعاء ، وقد راحت الألفاظ قبله تمس حدود الأدب ، لم يدع فرصة واحدة إلا ودافع فيها عن فضيلة النساء . لقد رد بالأمس «لكاترين» الثانية اعتبارها الكامل فى جمتلين اثنتين ، على الرغم من الموقف المعادى الذى كان قد اتخذه حيالها معاون الطرق .

العطار : أنا أتحدث عن المفتش . لماذا استدعيته من ليموج؟ إنه يعتبر فظا ، والأرواح لا تحب الغلاظ .

العمدة : ذلك لأنه أتى من تلقاء نفسه ، ذلك لأنه يفضل أن ينتقل بنفسه لكى يقاوم كل ما يحدث فى المقاطعة من أمر غريب أوغامض . فما أن تلوح

ظاهرة لا يمكن تفسيرها بين نباتات المنطقة أو حيواناتها وحتى فى جغرافيتها ، إلا ويأتى المفتش ويعيد النظام . هل علمت بأمجاده الأخيرة ؟

العطار : فى مقاطعة بيرى ، مع جنياته المزعومة ؟

العمدة : فى مقاطعة الليموزان نفسها : فى روشيشوار أولا ، حيث استخدم الهندسة الحربية فى سد النبع الذى كان ينادى . وفى منطقة تربية خيول النتاج فى بومبادور ، حيث كانت هذه الخيول قد عكفت على استعمال عيونها كالبشر ، فتنظر إلى بعضها مواربة ، وتغمز لبعضها بحدقاتها أو بجفونها ، فأمر بوضع أحجبة جانبية على أعينها ، فى حواجز الحظائر .لا شك أن حال مدينتنا قد أغرته ... إننى أعجب حقا لتأخره هكذا .

العطار : فلنناده !

العمدة : كلا ! كلا ! لا تصح مطلقا ! ألا ترى أن صدى الصوت فى هذا المرج ينطوى على شىء مكدر ، مقلق لا أدرى كنهه ؟

العطار : إن المراقب يتمتع بأجمل صوت جهير فى المنطقة . وسنسمعه وهو على بعد كيلو متر ... أوه ! أوه !.

المشهد الثانى

(نفس الأشخاص . إيزابيل – والتلميذات)

(تسمع أصوات حادة لطفلات وهى تجيب : أوه ! أوه ! وسرعان ما تدخل إيزابيل وتلميذاتها على خشبة المسرح)

العمدة : آه ! إنها الآنسة إيزابيل ! صباح الخير يا آنسة إيزابيل !

إيزابيل : صباح الخير ، ياسيدى العمدة !

العطار : أتجمعن الأعشاب ، يا أطفالى ؟

العمدة : منذ أن مرضت معلمتنا من ثلاثة شهور ، تكرمت الآنسة إيزابيل وحلت محلها . ولكنها تصر على التدريس فى الهواء الطلق ، فى مثل هذا الجو الجميل .

إيزابيل : وفضلا عن ذلك ، فنحن نجمع الأعشاب أيضاً ، يا سيدى العطار . ينبغى لهؤلاء الصغيرات أن يعرفن الطبيعة بكل ألقابها وأسمائها . إن معى هنا

كيسا مليئا بالنباتات الغريبة ... بعد إذنكم ،
فنحن نبحث عن أهم نبات فى الدرس الذى
سأعطيه الآن . إننى أعرف أين أجده ...

العطار : ماهو ؟

الصغيرات : اليبروح ! اليبروح !

المشهد الثالث

(العمدة ، العطار)

العطار : يا لها من مخلوقة لطيفة ! كم هو مؤثر أن نرى البراءة تحوم على هذا النحو دون أدنى ريبة أو خطر حول رموز الشر .

العمدة : أرجو أن يكون للآنستين منجبوا فيها الرأى نفسه .

العطار : ما شأن هذين الخلدين(١) القارضين بإيزابيل ؟

العمدة : هذا ما سنعرفه الآن . لقد طلبتا من المفتش أن يستمع لهما ، وجعلتانى أعتقد أن الموضوع يتصل بإزابيل وبوشاية .

العطار : ماذا عساهما تشيان ؟ إن إيزابيل على قدر من البساطة والصراحة ، وعلى الجملة فهى تختلف كثيراً عن صاحباتها . فأنت تعرفهن ، يا سيدى العمدة ، كل الأخريات . إنهن يقضين وقت الأصيل فى الاختفاء فى الغابات بين أذرع أقاربهن ،

---

(١) خلد : حيوان قارض

أو فى الاستحمام مع موظف نقطة الشرطة الزنجى ،
أو فى قراءة روايات المركيز دى ساد ذات الطبعة
المصورة ، وهن متمددات فى المروج ... يا لهن
من فتيات ! ... أما إيزابيل فعلى النقيض من ذلك .
ليس فى نفسها شىء غامض ولافضول سابق
لأوانه ... تأمل صراحة شكلها ! إنها أمام أى
شخص أو أى شىء تبدو كأنها مفتاح يفسر
ما أغلق فهمه . أنظر إليها وقد امتطت جذع
الشجرة المبتورة ، وراحت تراقص ذلك الحمار
الصغير وهى تداعب غصنا من العوسج ، بينما
التفت تلميذاتها حولهما فى حلقة راقصة .عندئذ
تصبح الحاجة ملحة إلى الحمير الصغيرة فى هذا
العالم ، وكذلك الحاجة إلى الفتيات الصغيرات...
أنظر اليهن يا سيدى العمدة : أنظر إلى الوجوه
الصغيرة الساحرة ، إلى الظهور الصغيرة الساحرة .

العمدة : حسن ، حسن ، يا عزيزى العطار !

العطار : آه ! هاهو ذا سيدى المفتش .

المشهد الرابع

(نفس الأشخاص — المفتش — المراقب)

المفتش : الدليل ، يا عزيزى المراقب ، الدليل على أن الأرواح ليس لها وجود؟ على أن العالم الخفى ليس له وجود ؟ هل تريد أن أقدم لك الدليل على ذلك فى التو واللحظة ؟

المراقب : وبما أنه صادر عن موظف كبير ، فاننى سأقدره حق قدره .

المفتش : هل تقر بأن الأرواح إذا كان لها وجود فإنها تسمعنى ؟

المراقب : ما عدا الأرواح الصماء طبعا .

المفتش : إذن فلتسمع هذا : أيتها الأرواح ، أيتهاالمخلوقات الضئيلة التافهة ، (أنت ترى أننى لاألوك كلماتى ، فإذا كان لديها شىء من الكرامة ، لعرفت ما يجب عليها عمله) ، إن الإنسانية تتحداكن فى شخصى أن تظهرن ! فأمامكن الآن فرصة فريدة ،

نظراً لأهمية الحاضرين ، لكى تستعدن شيئا اعتباركن فى الإقليم . إننى لا أطلب منكن أن تستخرجن من جيبى ببغاء صغيرا حيا ، فهذه حركة مشهورة ، على ما يبدو ، عند الأرواح . إنى أتحداكن أن تجعلن عصفورا عاديا يطير من هذه الشجرة ، من هذه الأجمة ، من هذه الغابة عندما أعد ثلاثا ... ها أنذا أعد يا سيادة المراقب : واحد ... إثنان ... ثلاثة ... انظر ، أمر يرثى له .
(تطير قبعته) يا إلهى ، ما أشد الريح !

العطار : إننا لا نشعر بأية نسمة يا سيدى المفتش .

المفتش : كفى ! شيء محزن .

المراقب : ربما لا تؤمن الأرواح بالناس .

العمدة : أوأن استدعاءها كان إلى حد ما ذا طابع عام .

المفتش : هل تريد أن أستدعيها كلاً باسمها ؟ هل تريد أن أستدعى أسفلاروت ؟

العطار : أسفلاروت ، أكثر الأرواح استجابة وشراً ، والتى يقال إنها تسكن جسم الإنسان وتتلذذ بتعذيبه ؟ خذ حذرك يا سيدى المفتش ! فلا أحد يدرى إلام تؤدى هذه الألعاب :

المفتش : أنت تسمعينى يا أسفلاروت ، أن أرذل أعضاء جسدى وأحقرها شأنا تتحداك اليوم . لا أقصد رئتى ولا قلبي ، وإنما أقصد كيس المرارة وفتحة الحقلوم وغشاء العطس... فلتصيبينى فى أحد هذه الأعضاء بأدنى ألم ، بأقل انقباض ، وسأومن بك ... واحد ... اثنان ... ثلاثة ... إننى انتظر !. (تنزلق قدمه) ما أشد رطوبة هذا المكان !

العمدة : إن المطر لم يسقط منذ ثلاثة أسابيع .

العطار : إن طبيعة الزمن بالنسبة للأرواح تختلف عنها بالنسبة لنا . فقد تكون أسفلاروت قد ردت على إهاناتك لها مقدما منذ فترة بعيدة ... هل أستطيع أن أسألك عن سبب هذه الندبات التى فى أنفك ؟

المفتش : لقد سقط حجر من الآجر فوق رأسى حين كنت طفلا أحاول المشى.

العطار : ها هو ذا تفسير صمتها ، فقد ردت عليك منذ أربعين سنة .

المفتش : لم أكن أنتظر منها أقل من ذلك : فليس لها وجود وهى جبانة ،وهى تعتدى على أطفال ... لقد

ثبت الدليل أيها السادة بطريقة لا يمكن تفنيدها ... وعلى ذلك فسأبيح لنفسى أن أبتسم عندما تقولون لى إن قريتكم مسكونة .

العمدة : إنها مسكونة يا سيدى المفتش ...

المفتش : إننى أدرك جيداً ماهى حقا قرية مسكونة . أدوات المطبخ التى تدق ليلا فى المساكن التى نريد أن نستبعد مستأجريها ، والرؤى التى تظهر فى الممتلكات المشاعة لتنفير أحد الأطراف . ومن هنا تبدأ الثرثارات عملهن . ومن هنا يكون الاضطراب والريبة اللذان يبلغان حد النميمة والجريمة . كان عليكم أن تنتخبوا مستشارا عاما . ونتج عن ذلك معارك حول صناديق الانتخاب ، معارك دامية طبعا . وعلى أى حال لا يهم : إن الصندوق ، حتى لو كان صندوق انتخاب ، فإنه يجذب الجثث .

العمدة : أبدا ، يا سيدى المفتش ، بالعكس !

المفتش : هل تمت الانتخابات دون إراقة دماء ؟ يكاد هذا يكون ديمقراطيا ، ولكنه ليس شيطانيا بأية حال .

العمدة : لم ننتخب ، لم يقم أحد بالانتخاب ، ولم يفكر

فيه ، ومع ذلك فإن الناخبين كانوا قد استيقظوا في الفجر مدركين واجبهم ، وأسرعوا إلى حيث توجد الإعلانات . غير أن الشمس كانت ساطعة . ويدعى الجميع أنهم قرأوا على اللافتات : في الشمس لاامتناع عن التصويت! فراحوا يتنزهون حتى المساء .

المفتش : لقد رشتهم الرجعية .

العطار : بالاتفاق مع الشمس .

المراقب : كلا بالتأكيد ، يا سيدى المفتش ، إن سيدى العمدة لم يقل لك إن المدينة تتعرض منذ عدة أسابيع لسلسلة من العمليات الغريبة ، إن قوة غامضة أجد لها من ناحيتى آثارا لطيفة ، تستأصل منها شيئا فشيئا كل المبادئ ، الخاطئة ، التي يقوم عليها مجتمع متحضر .

المفتش : إنني أعفيك من التعليقات الشخصية . فسر ما تقول .

المراقب : سأفسر ما أقول : إن الطفل الذى يضربه أبواه مثلا ، يهجر أبويه . والكلب الذى يعنفه سيده يعض يده . وزوجة العجوز السكير القبيح الشعر ، تهجر مثل هذا الزوج إلى عاشق شاب قوى أملس

البشرة . والقوى الذى كان الضعيف يهينه دون عقاب ، لا يتردد الآن فى تحطيم فكه . وقصارى القول ، لم يعد الضعف هنا قوة ولا المودة عادة .

المفتش : وتخطرنى بعد فوات كل هذا الوقت بمثل هذا الوضع ؟

العمدة : وأضيف أن ثمة مصادفات غريبة متعددة تشهد بتدخل قوى خفية فى حياتنا البلدية . فقد سحبنا يوم الأحد الماضى قرعة النصيب الشهرى ، فربح الجائزة النقدية الكبرى أفقر أهل المدينة ،وليس السيد «دوما» المليونير الرابح المعتاد . ومع ذلك فقد احتمل الأمر . وفاز بالدراجة البخارية بطلنا الشاب ، وليس رئيسة الراهبات التى كانت الدراجة تؤول إليها بانتظام . وفى هذا الأسبوع شهدنا حالتى وفاة : بطلاها أكبر السكان سنا ، وفوق ذلك فكان الأول أكثر أهل المدينة بخلا ، وكانت الثانية أكثرهم شراسة . فلأول مرة ، يتخلى عنا القدر ، ويضرب فيها الحظ ضربة أكيدة .

المفتش : وفى هذا انتفاء للحرية البشرية .

العطار : يحسن أن نتحدث عن التعداد يا سيدى العمدة !

المفتش : أى تعداد ؟

العمدة : التعداد الخمسى الرسمى . إننى لم أجرؤ بعد على رفع الأوراق إلى المركز .

المفتش : هل كتب الأهالى بيانات كاذبة ؟

العمدة : بالعكس ! فقد أجاب الجميع بصراحة بالغة ماجنة ، تعتبر تحديا للإدارة . فنى باب البيانات العائلية ، لكى أسوق لك مثلا ، لم يسجل أغلبية السكان أولادهم أو بناتهم الحقيقيين ، عندما يكون هؤلاء الأولاد عاقين لهم أوقبيحين ، وإنما ذكروا كلابهم أوصبيانهم ، أو طيورهم باختصارسجلوا من يحبونهم حقا ذرية لهم .

المراقب : وكثيرون لم يسجلوا فى مكان الزوجة زوجاتهم الحقيقيات ، وإنما سجلوا المرأة المجهولة التى كانوا يحلمون بها ، أو الجارة التى يكونون معها علاقات سرية ، أو حتى أنثى الحيوان التى تمثل بالنسبة لهم الرفيقة الكاملة ، كالقطة أو السنجاب.

العمدة : وفى باب المساكن ، إدعى الأغنياء المصابون بأمراض عصبية أنهم يسكنون الأطلال وادعى الفقراء السعداء أنهم يسكنون القصور .

المفتش : ومنذ متى ، هذه الفضائح ؟

العمدة : تقريبا منذ صادفنا هذا الشبح .

المفتش : لا تستعمل هذه الكلمة السخيفة . ليست هناك أشباح .

العمدة : هذا الطيف إذا أردت .

المفتش : ليست هناك أطياف .

العطار : ليس هذا ما يطلعنا عليه العلم : فهناك أطياف لكل شيء : للمعدن وللماء . ويمكن أن نجد طيفا للإنسان .

(تسمع من أركان المسرح أصوات الآنستين منجبو ا)

المشهد الخامس

(نفس الأشخاص : الآ نستان منجبوا)

(كبرى الآ نستين صماء . تتدلى من عنقها سلسلة بها سماعة تستخدمها أختها لتصلها بمايدور من حديث)

آرماند منجبوا : (صائحة ولم تظهر بعد) — هل لنا أن نقترب يا سيدى العمدة ؟

العمدة : إقتربا يا آنستى ، إقتربا ! سيدى المفتش ، هاهما الآ نستان منجبوا اللتان وعدتانا بالإدلاء ببعض التصريحات .

آرماند : (تظهر مع أختها) .
آمل يا سيدى العمدة ألا نخيب ظنكم .

العمدة : الآ نستان منجبوا هما ابنتا المرحوم قاضى المصالحات الراحل ، الذى ذاع صيته بعد أن فصل غشاء توأمتين ملتصقتين كانتا موضوع نزاع بين تاجرين من ليموج .
(تجلس الآ نستان بعد تبادل التحيات على مقعدين

من النوع الذى يطوى)

المفتش : تهانىّ أيتها الآنستان ! قضاء سليمان الحق ! إننى أنصت لكما .

أرماند : أحب أولا أن أطلب من سيدى المفتش أن يعذر أختى ليونيد ، فهى ثقيلة السمع بعض الشىء .

ليونيد : ماذا تقولين ؟

آرماند : أقول لسيدى المفتش إن سمعك ثقيل بعض الشىء .

ليونيد : ولماذا تقولين لى ذلك ؟ إننى أعرفه .

آرماند : وبعد يا ليونيد ، ألا تحتمين على أن أكرر لك ما أقول ؟

ليونيد : ما عدا قولك بأننى صماء .

المفتش : أيتها الآنستان، إذا كنا قد رجونا كما الحضور حتى هذا المكان الذى وقع عليه اختيارنا بسبب أنه لا يفشى منه سر ...

ليونيد : إنك تغطين ، هل أقول لك ذلك ؟

آرماند : إننى لا أغط .

ليونيد : إذا كنت لا تغطين ، فذلك لأنك توقفت فجأة عن الغطيط فى اللحظة التى أصبحت فيها صماء ...

المفتش : أطلبي إلى شقيقتك أن تصمت يا آنسة ، وإلا فلن ننتهى أبدا .

آرماند : صعب على هذا يا سيدى المفتش ، فهى أختى الكبرى .

ليونيد : ماذا تقولين ؟

آرماند : لا شىء يهمك .

ليونيد : إذا كان هذا لا يهمنى ، فذلك لأنك تقولين إنك أنت الصغرى .

آرماند : إن سيدى المفتش يقول لك إنه يتمنى أن يسود الصمت .

ليونيد : لوكان يعرف ماهو الصمت ، لما تمناه ! سأصمت ...

المفتش : أيتها الآنستان ، يؤكدون لى أنكما على علم بكل ما يقال وما يجرى فى هذا الإقليم .

آرماند : إننا فى الواقع أمينتا السر فى مؤسسة جهاز العرائس

المفتش : وفى أى الأحاديث يخوضون الآن فى المؤسسة ؟

آرماند : وفيما عسانا نتحدث يا سيدى المفتش ! فى أمر الشبح طبعا :

المفتش : تؤمنين به ، بهذا الشبح ، هل رأيته ؟

آرماند : رأيت أناسا رأوه .

المفتش : شهوداً يوثق بهم ؟

آرماند : أحدهم حامل وسام تنين فيتنام الكبير.

المفتش : إذا كان يؤمن بتنين فيتنام الكبير ، فكلامه مشكوك فيه مقدما . أذكرى أسماءهم .

آرماند : بائع اللبن ، وفاطمة الجميلة — فهكذا يدعون البدالة ، هؤلاء السادة . والقوموندان ايكالار . إنه القوموندان حامل وسام الشرف .

المفتش : هذا ماكنت أظن ... وكيف شاهدوا الشبح ؟ شاهدوه دون ريب متدثراً فى كفن ، ورأسه مصنوع من قرعة مفرغة مثقوبة ، بها مصباح كهربائى ؟

أرماند : أبدا يا سيدى المفتش . كل الشهادات متفقة على أنه شاب طويل القامة يظهر عند هبوط الليل ، فى زى أسود . وهو يظهر حول المستنقع الذى تلمح قصبه هناك .

المفتش : وكيف تفسرين هذه الرؤى ؟ هل ظهرت فى المنطقة أطياف قبل ذلك ؟

آرماند : أبدا ... ، لم يحدث مثل هذا قبل وقوع الجريمة .

المفتش : أية جريمة ؟

المراقب : جريمة كبرى يا سيدى المفتش .. بل جريمة عصرية . فقد استأجر القصر لفترة عيد الفصح شاب غريب وزوجته . ولحق بهما صديق لهما . وفى الصباح ، وجدت الزوجة والصديق مقتولين ، مقتولين بطرية وحشية . وعلى حافة المستنقع وجدت قبعة الزوج ، وهى تلك التحية العاجلة للموت .. المعتقد أنه انتحر غرقاً .

آرماند : كلنا متفقون فى المؤسسة على أن هذا الغريق هو الذى يعود . وفوق ذلك فهو عارى الرأس .

المفتش : إنه يستطيع أن يعود دون أن يكون قد غرق . فالمجرم يعود دائما إلىمكان الجريمة كما يعود المقلاع إلى قدم راميه .

ليونيد : ماذا يقول المفتش ؟

آرماند : إن المقلاع يعود إلى قدم راميه .

ليونيد : شيء ممتع للغاية . عندما تصلون إلى البندقية ذات الكوع فأرجوك أن تنبهيني .

المفتش : وهذه الأحداث العجيبة التى تتخذ من مدينتنا مسرحا لها ، هل تعتقدين أنها ترجع إلى وجود هذا الشبح ؟

آرماند : أوه .. كلا ! فهذه قصة أخرى . ولكننا نرى أن القصتين سرعان ماتتشابكان . وهذا هو الخطر الذى يدفعنا إلى الكلام .

العمدة : وضحى ما تقولين يا آنسة منجبو ا .

آرماند : لست أدرى يا سيدى المفتش ما إذا كان هؤلاء السادة قد صوروا لك ، الفضيحة بكل بشاعتها .

المفتش : أجل ، أجل ، يا آنسة ، أوجزى فأنا أعرف أن الأخلاق البورجوازية فى مدينتنا قد قلبت رأسا على عقب .

ليونيد : ماذا يقول المفتش ؟

آرماند : لا يقول شيئا غريبا .

ليونيد : إننى أحتم عليك أن تكررى لى الكلمات الثلاث الأخيرة كالعادة .

آرماند : تحت أمرك ... إنك تضايقيننى ... رأسا على عقب .

ليونيد : آه ! إنكم تتحدثون عن السيدة لامبير !

آرماند : إننا لا نتحدث عن السيدة لامبير !

ليونيد : لا يمكن أن يكون هذا الحديث إلا عن السيدة لامبير أو عن المحصلة .

المفتش : ماذا تكون هذه السيدة لامبير ؟

آرماند : زوجة الساعاتى ... وبعض الآخرين ...

المراقب : كيف ؟

آرماند : وبعض الآخرين .

المراقب : (وقد احتد فجأة) — معذرة ! أنا لا أقبل أن يرتاب أحد فى سلوك السيدة لامبير !

المفتش : يا سيادة المراقب، إن التحقيق شاق بما فيه الكفاية، والأمر لا يتعلق هنا بالسيدة لامبير ؟

المراقب : حسن ، ليكن ، سيتعلق الأمر بها فيما بعد . أظنكم لا تعجبون حين يقف شاعر بغتة ، فى شرفات المقاهى، أو فى المنتديات الأدبية بباريس ، ويثنى على الربيع دون أدنى سبب . إن السيدة لامبير هى ربيع مدينتنا .

آرماند : إن هذا الشاب لمجنون !

العمدة : يا سيادة المراقب .

المراقب : حسبك أن تمس السيدة لامبير وهى واقفة عند عتبة محلها بحجة معرفة الوقت من مائة ساعة بينما تلمحها من خلال واجهة المحل الزجاجية وهى تلوك لسانها بأسنانها البديعة ، وقد راحت تطوق رسغ إحدى متناولات القربان بسوار ساعة ، أو تحاول أن تفتح بظفرها الوردى علبة ساعة أحد

الجنود . يكفى هذا لكى نتفق جميعا على أن أهم
ما يميز فرنسا ليست كاتدرائياتها ، ولا فنادقها ؛
وإنما تلك المرأة الشابة التى طوق خصرها فى رقة
قد مصنوع من الساتان أو الأورجانزا يجذب اليه
فى كل مدينة صغيرة ، آناء الليل وأطراف النهار ،
نائب الحاكم وتلاميذ المدارس الثانوية ، وكل
أفراد حامية المدينة !

ليونيد : ماذا يقول المراقب ؟

آرماند : لا شىء البته .

المراقب : باختصار : ذلك الجمال الريفى الذى لا يمنعنى
شىء من الثناء عليه الآن فى شخص السيدة
لامبير ، تحت أى اسم أو شكل اتخذته السيدة
لامبير ، أثناء فترة خدمتى التى لا تزال قصيرة ،
عندما كانت تدعى السيدة ميرل إذ كانت بائعة
فى مكتبة فى رودى ، أو السيدة ليبينار التى
كانت بائعة ضمادات فى مولان أو مدام
تريبورتى بائعة القفازات فى كاستر .... إن هذا
القفاز من جلد الحمل قد اشتريته منها ... وليس
فيه مزق واحد ... إننى أشهد للسيدة لامبير .

المفتش : أيها السادة ، إننى أرفع الجلسة . فلن نصل إلى

شيء فى مثل هذا الارتباك ، إننى أؤاخذك على ذلك أيها المراقب .

آرماند : والآنسة إيزابيل يا سيدى المراقب ، هل تشهد لها أيضاً ؟

العطار : لا تقحمى الآنسة إيزابيل فى هذه الفضائح .

المراقب : إنها الطهارة والشرف .

العمدة : وأنا أهنيء نفسى على أننى عهدت إليها بفصل البنات فى غياب المدرسة .

آرماند : ما أعمى الرجال ! إن الآنسة إيزابيل هنا فى هذا الحقل ، ولك يا سيدى العمدة ابنة أخ فى فصلها ، فاستدعها ... ولسوف ترى ماذا يعلمون الصغيرة ديزيل !

العمدة : ماذا يعلمونها ؟

آرماند : إنتهز فرصة وجود السيد المفتش ، ليعقد لها امتحاناً ، ولسوف ترى .

المفتش : ثم ماذا ؟

آرماند : إننا نرتاب منذ مدة طويلة ، فى أن يكون للآنسة إيزابيل دخل فى الدسائس التى تفسد المدينة ، وقد تأكدنا من ذلك منذ هذا الصباح .

المراقب : إفتراء !

آرماند : ليونيد : قولى لهؤلاء السادة لماذا نحن متأكدتان من أن إيزابيل هى الجانية

ليونيد : لأن المفكرة التى تسجل فيها كل مساء أحداث يومها . أثبتت لنا ذلك .

المفتش : وكيف حصلت عليها ؟

آرماند : وكيف حصلت عليها ؟

ليونيد : لقد وجدتها على طوار الشارع .

العطار : وهل بلغت بك القحة أن تقرئيها ؟

آرماند : وهل بلغت بك القحة أن تقرئيها ؟

ليونيد : هل سألتك رأيك ؟ لقد تصفحتها لأعرف اسم صاحبها .

المراقب : هذه المفكرة تخص الآنسة إيزابيل ، فكان يجب عليك أن تعيديها لها .

آرماند : هذه المفكرة تخص الآنسة إيزابيل ، فكان يجب عليك أن تعيديها لها .

ليونيد : لا تتدخلى فيما لا يعنيك ! ها هى ذى يا سيدى العمدة ! إفتحها كيفما اتفق ، وسترى فيها فتاتك المفضلة وهى تعمل ، وهى تسعى للتفريق

بين الزوجين غير المتفاهمين ، أو تثير بعقاقيرها الجياد ضد الحوذيين الذين تتهمهم بالغلظة ، أو تضاعف من خطاباتها التى ترسلها دون توقيع ، تنال فيها من الأزواج والزوجات وتشى بالقرينات والأقران . إفتح المفكرة على ٢١ من مارس مثلا إذا أردت أن تعرف كم كنت محقا عندما جعلتها معلمة فى المدرسة ! ماذا ؟ ماذا يقولون ؟

آرماند : إنك أنت التى تتكلمين ...

المفتش : إقرأ يا سيدى العمدة ...

العمدة : (يقرأ) — ٢١ من مارس ... ٢١ من مارس : ... نظمت حفلا بمناسبة الربيع ، إنتهزت الفرصة للثناء على الجسد وإظهار جماله للبنات . أظهرت مزايا التجمل وصراحته ... لتدريبهن ، انتخبنا أجمل رجل فى المدينة . يقع اختيارهن على نائب الحاكم .

إنها بداية لا بأس بها .

آرماند : لم يكن سيدى المراقب قد حل بيننا بعد .

المفتش : حقاً إنها لفضيحة ! لابد من القضاء عليها فوراً .

أيها المراقب أبلغ هذه الآنسة أن عليها أن تحضر هنا فى الحال ، هى وتلميذاتها . سأعقد لهن امتحاناً على الفور . كنت على يقين من أن بعض النساء وراء هذه المهازل ، فما أن نمنح هذا النمل شيئاً من الحرية فى البناء الاجتماعى حتى ينخر عروقه كلها فى طرفة عين .

المراقب : (يعود ، وكان على أهبة الخروج) لو سمح سيدى المفتش ...

المفتش : هل ترفض الذهاب لاستدعاء الآنسة إيزابيل ؟

المراقب : كلا طبعاً يا سيدى المفتش . إننى مع إحترامى لسيادتكم ، أحب أن أعترض على صحة التشبيه الذى سقتموه ، وأن ألفت نظركم إلى وجود اختلاف ما بين النساء والنمل .

المفتش : إذا كنت ترى أدنى اختلاف فأنت أكثر منى دهاء . أسرع أرجوك .

المراقب : لاحظ أننى لا أحتقر النمل ، فأنا عليم بمزاياه الممتازة . إننى أعرف أنه يحارب البراغيث ، وأن لديه محاربين . ومن ثم أن تقارن النمل بالنساء ، بكل النساء ، لا !

آرماند : هذه المرة يا سيدى المراقب ، أقول لك أحسنت .

المراقب : لقد قلت ذلك فى الهواء ، عرضاً ... ما هى الخاصية التى تميز جسم النملة ؟

المفتش : لقد أصدرت إليك أمراً أيها المراقب .

ليونيد : ماذا يقولون ؟

آرماند : إن المفتش يقول إنه لا يستطيع أن يفرق بين المرأة وبين النملة .

ليونيد : هل هو متزوج ؟

المفتش : (منفجرا) — كلا ، إننى لا أفرق يا آنستى — نفس الانشغال ، نفس الثرثرة عندما تتقابل اثنتان. نفس الوحشية حيال من يدخل دائرتهن ، وقوامهن ، وكل تلك اللفافات التى يحملن . إنهن نمل بالضبط .

المراقب : سيدى المفتش ، لو أنك قلبت نملة ، ولمستها بطرف سبابتك ...

المفتش : إننى آمرك لآخر مرة ، أن تذهب وتأتى بالآنسة إيزابيل .
(ينحنى المراقب ويخرج)

العمدة : ولكن ، يا سيدى المفتش ، إننا قد اجتمعنا لكى

نتحدث عن الشبح ، لا عن إيزابيل .

آرماند : الأمر واحد !

العطار : أظنك ستدعين أيضاً أن الآنسة إيزابيل ساحرة من الساحرات .

آرماند : إفتح المفكرة على ١٤ من يونيو . واقرأ !

المفتش : ١٤ من يونيو ، إنه الأمس أفليس اليوم يوم ١٥ ؟

آرماند : كنا نتساءل منذ قليل لماذا تختار الآنسة إيزابيل ضفاف المستنقع لنزهاتها الليلية . إن الصفحة الأخيرة من مفكرتها ستبين لك ذلك .

المفتش : إقرأ يا سيدى العمدة .

العمدة : (يقرأ) — ١٤ من يونيو . إننى على يقين من أن هذا الشبح أدرك أننى أومن به ، وإننى أستطيع مساعدته . كيف نستطيع ألا نؤمن بالأشباح ؟ إنهيبحث عنى لأنهم يعلنون عن مروره فى كل مكان أخذت فيه بناتى للنزهة . من المؤكد أنه سيظهر لى بالقرب من إحدى الغابات عند الغروب . وسيسدى إلى بكل أنواع النصائح لأصل بالمدينة أخيراً إلى درجة الكمال ! إننى واثقة من أن ذلك سيكون غداً .

المفتش : والغد ، هو اليوم .

ليونيد : ماذا يقول المفتش ؟

آرماند : إن الغد هو اليوم .

ليونيد : هذا رأى ....

المراقب : (وقد عاد إلى الظهور) — إن الآنسة إيزابيل قادمة فى إثرى يا سيدى المفتش .

آرماند : لنرحل يالونيد ، إيزابيل قادمة .

المفتش : شكراً أيتها الآنستان .... أرجو ، بفضل معلوماتكما ، أن نرى أخيراً الحقيقة العارية .

آرماند : هذا كل ما نستطيع أن نقدمه لهؤلاء السادة ، أما السيدة لامبير فليس لدينا ما نقوله عنها ...

المفتش : إنك يا آنستى تجيدين إلقاء سهم البارتيين (١) الغادر .

ليونيد : ماذا ؟

آرماند : إن المفتش يتحدث عن سهم البارتيين الغادر .

---

(١) البارتيون شعب همجى عاش فى شمال أوروبا وآسيا « سنة ٢٢٥ قبل الميلاد — ٢٢٤ بعد الميلاد » كانوا يعيشون دائما ممتطين صهوة جيادهم . وقد اشتهر عنهم أنهم كانوا يتظاهرون بالفرار أمام عدوهم ، وفجأة يمطرونه بوابل من سهام يلقون بها الى الخلف من فوق أكتافهم . ومن هنا جاء المثل الذى يقول : رماه بسهم البارتيين ، أو أصابه واختفى . المترجم

ليونيد : يا لها من عدة حرب كاملة !

(تخرج الآنستان منحبوا)

المراقب : (ناظراً إلى إيزابيل التى تقترب) — لو كان النمل الذى يمشى فى الآجام يشبه إنتصار ساموتراس (١) فى رأسه ، ويشبه فينوس ميلو (٢) فى ذراعيها ، وإذا كان دم الرمان يلون وجناته ، ودم التوت يلون بسمته ، عندئذ ، نعم ، يا سيدى المفتش ، فى هذه الحالة فقط ، تشبه إيزابيل النملة . أنظر إليها !

---

(١) « انتصار ساموتراس » نصب تذكارى أقيم سنة ٣٠٥ ق.م تخليدا لذكرى انتصار بحرى احرزه ديمتريوسى بوليورسيت ، واكتشف سنة ١٨٦٣ فى الجزيرة الاغريقية التى يحمل النصب اسمها .

(٢) «فينوس ميلو » تمثال أغريقى محفوظ فى متحف اللوفر اكتشف سنة ١٨٢٠ فى جزيرة ميلو ، وهو لفنان مجهول عاش فى القرن الثانى قبل الميلاد « المترجم »

المشهد السادس

(المفتش . المراقب . العطار . العمدة . إيزابيل .
ثم البنات)

إيزابيل : هل أرسلت فى طلبى يا سيدى المفتش ؟

المفتش : أيتها الآنسة ، إن أسوأ الشائعات تروج عن تدريسك . سأرى حالا ما إذا كانت فى محلها وأبحث أمر الجزاء .

إيزابيل : أنا لا أفهمك يا سيدى المفتش .

المفتش : كفى ! ليبدأ الامتحان ... أدخلن ، أيتها البنات ... ، (يضحكن) لماذا يضحكن هكذا ؟

إيزابيل : لأنك تقول : ادخلن ، وليس هناك باب يا سيدى المفتش .

المفتش : إن هذه التربية فى الهواء الطلق سخيفة ... إن لغة المفتشين تفقد فيها نصف تأثيرها ... (همس) سكوت ، هناك ... إن أول واحدة ستتكلم ستنظف الفصل ، الحقل ، أقصد ، الريف ... (ضحكات .) يا آنسة ، إن بناتك شياطين !

العمدة : إنهن ظريفات جداً ، يا سيدى المفتش ، أنظر إليهن .

المفتش : ليس لهن أن يكن ظريفات . فمع ظرفهن هذا ستحاول كل منهن أن تكون لها طريقتها الخاصة فى الابتسام أو الغمز . إن ما أفهمه هو أن يظهر مجموع التلاميذ للمدرس نفس المحيَّا الجاد الموحد، كما هو الحال فى لعبة الدومينو .

العطار : لن تبلغ ذلك يا سيدى المفتش .

المفتش : ولماذا ؟

العطار : لأنهن مرحات .

المفتش : ليس لهن أن يكن مرحات . إن لديكم فى المنهج شهادة دراسية لا ضحكا مجنوناً . إنهن مرحات لأن مدرستهن لا تعاقبهن بما فيه الكفاية ؛

إيزابيل : كيف لى أن أعاقبهن ؟ فليس هناك ما يدعو للعقاب فى مثل هذه المدارس المفتوحة . فكل ما هو خطأ فى الفصل يصبح فى أحضان الطبيعة توثباً وذكاء . هل أعاقب تلميذة تنظر إلى السقف؟ أنظر إليه ، هذا السقف !

المراقب : فعلا ، لننظر إليه .

المفتش : إن السقف فى التعليم يجب أن يفهم بطريقة تبرز

قامة البالغ بالنسبة لقامة الطفل . إن المدرس الذى يتبع طريقة التعليم فى الهواء الطلق يعترف بأنه أقصر من الشجرة ، وأقل ضخامة من الثور ، وأقل حركة من النحلة ، ويضحى بأفضل دليل على كرامته ... (ضحكات ...) ماذا جرى أيضاً ؟

العمدة : دودة تصعد عليك يا سيدى المفتش !

المفتش : وصلت فى وقتها ... لقد جنت على نفسها !

إيزابيل : أوه ! سيدى المفتش ... لا تقتلها إنها «الكولاتا أزوريا» وهى تؤدى وظيفتها كدودة !

المفتش : كذب . فليست وظيفتها هى التسلق على المفتشين (نحيب) . ماذا دهاهن الآن ؟ هل يبكين ؟

لوس : لأنك قتلت «الكولاتا أزوريا» .

المفتش : لو أن شحروراً قضى عليها لوجدن فعلته عظيمة بالطبع ، ولبهرهن ذلك المنظر .

لوس : ذلك أن الدودة هى غذاء الشحرور ! ...

المراقب : بالضبط . إن الدودة كغذاء تفقد كل تجاوب عاطفى .

المفتش : وهكذا يا آنستى ، ترين إلام أدى تعليمك بالبنات ، إلى الحد الذى يرغبن معه أن يرين المفتش يأكل الديدان التى يقتلها ! ولكن ، لا ، سيخيب ظنهن . فسأقتل ديدانى ولا آكلها . وإننى أحذر كل زملائكن المعتادين فى الدراسة يا صغيراتى ، الحشرات، والزواحف والقوارض من التفكير فى مس رقبتى أو الدخول فى جواربى وإلا قتلتها ... أنت أيتها السمراء ، إسهرى على مناجذك (١) ، لأننى سأسحق المناجذ ، وأنت أيتها الشقراء ، لو أن أحد سناجبك سقط فى يدى ، فسأفصل رقبته ، بيدى هاتين ... هذه حقيقة ، كحقيقة أننى عندما سأموت ، سأكون ميتاً . (يقهقهن ...)

البنات : بفف ! ...

المفتش : ماذا يضحكهن

إيزابيل : فكرة إنك عندما ستموت ، ستكون ميتاً يا سيدى المفتش ...

العمدة : ألا نبدأ الامتحان ؟

المفتش : إدع الأولى . (حركات) لم هذه الحركات ؟

(١) مناجل جمع خلد « نوع من القوارض يعيش تحت الأرض وليس له عينان ولا أذنان ، منه الفأرة العمياء . كما ورد فى المنجد « المترجم » .

إيزابيل : لأنه ليس هناك أولى . يا سيدى المفتش ، ولا ثانية ، ولا ثالثة . لا تظن أننى أعمد إلى جرح كبريائهن . هناك الأطول ، والأكثر ثرثرة ، ولكنهن أوليات كلهن .

المفتش : أو أخيرات كلهن ، على الأصح . أنت ، هناك ، إبدئى ! فى أى علم تتفوقين ؟

جيلبيرت : فى علم النبات ، يا سيدى المفتش .

المفتش : فى علم النبات ؟ إشرحى لى إذن الفرق بين النبات أحادى الفلقة والنبات ثنائى الفلقة ؟

جيلبيرت : قلت فى علم النبات يا سيدى المفتش .

المفتش : إسمعن ماذا تقول ! هل تعرف ما هى الشجرة ؟

إيزابيل : هذا بالذات هو ما تعرفه جيداً يا سيدى المفتش .

: إذا كنت تعرفين ، قولى يا جيلبيرت . فهؤلاء السادة يستمعون إليك .

جيلبيرت : الشجرة هى شقيق الإنسان غير المتحرك . وفى لغتها يسمى القتلة حطابين ، والحانوتيون فحامين ، والبراغيث أخايل (١) .

إيرين : وعن طريق فروعها تشير لنا الفصول بعلامات

---

(١) الأخيل : طائر يسمى الشقراق ، وهو طائر مشئوم . ولذلك يقول العرب : « أشأم من أخيل » . « كما ورد فى الوسيط » « المترجم »

صحيحة دائماً . وعن طريق جذورها ينفخ الموتى أمانيهم وأحلامهم إلى قمتها .

فيولا : وهذه الأمانى والأحلام هى الأزهار التى تكتسى بها كل النباتات فى الربيع .

المفتش : أجل ، وخاصة الأسفاناخ ... ولو كنت أدركت تماماً ما تقولين يا صغيرتى ، فإن الجذور هى الأوراق الحقيقية ، والأوراق هى الجذور .

جيلبيرت : بالضبط .

المفتش : صفر ! ... (تضحك) لم هذه السعادة ، أيتها الوقحة ؟

إيزابيل : ذلك لأننى جعلت الصفر فى تقديراتى أعلى درجة بسبب التشابه بينه وبين اللانهائية .

المراقب : غريب .

المفتش : يا سيادة العمدة ، إننى أختنق حقاً ... أكملى يا آنسة ، إسألى أنت بنفسك .

إيزابيل : تحدثى عن الزهرة يا ديزى ...

ديزى : الزهرة هى أنبل نصر للإنسان ...

المفتش : عظيم جداً . إن هذا يبشر بالخير .

ديزى : فى الزهرة يتحول إنتباهى إلى عضو التأنيث وعضو التذكير ، فهما اللذان يتلقيان اللقاح

من الأزهار الأخرى بواسطة الريح . وبذلك يولد النبات بطريقة تختلف كثيراً عن طريقة الطير ...

جيلبيرت : الأورنيتورينك (١) ...

فيولا : وخاصة الطيور الجارحة ! ...

المفتش : فضيحة ، يا سيادة العمدة فضيحة ! لقد كونت فكرتى عن أحداث هذه القرية .

العمدة : لننتقل إلى الجغرافيا ، يا سيدى المفتش ... أنت يا صغيرتى فيولا . من الذى يسبب انفجار البراكين ؟

فيولا : إنه الرسام الذى يجمع الألوان المتجانسة . إنه المجمع (٢) .

المفتش : إنه ماذا ؟

فيولا : إنه الرسام مجمع الألوان المتجانسة . إنه المجمع .

البنات : إنه المجمع !

المفتش : المجمع ؟ مجنونات هن ؟

إيزابيل : إننى أحرص يا سيدى المفتش على ألا يؤمن هؤلاء الأطفال بظلم الطبيعة . فأنا أعرض لهن

---

(١) حيوان يسمى بوز البطة من نوع الثدييات ، وحيد الثقب يعيش فى استراليا . وسمى بذلك لان له خرطوما يشبه منقار البطة . «لاروس »

(٢) رسام يجمع الالوان للديكورات . « المترجم »

كوارثها الكبرى على أنها تفاصيل مؤسفة فعلا ، ولكنها ضرورية للحصول على عالم يبعث على الرضى فى مجموعه . ولهذا السبب فإننا نطلق على القوة ، أى الروح التى تثيرها ، المجمع :

المراقب : مضبوط جداً ! معقول جداً !

المفتش : وأظن يا آنستى ، لو كنت قد فهمت طريقتك جيداً ، فإنك لكى تشرحى المضايقات والمفاجآت الصغيرة فى الحياة ، قد تصورت كذلك شخصاً آخر ماكراً خفياً ، يقبل فى الليل فيقرع النوافذ ، أو يأتى بسيد عجوز يجلسه فى فطيرة البرقوق التى وضعت فى غير مبالاة فوق أحد الكراسى !

فيولا : أوه ، أجل ، يا سيدى المفتش . إنه أرتور .

المفتش : أيهما ، أرتور ، أم المجمع ، الذى يجعل الدودة تصعد على المفتشين الزائرين ؟

البنات : إنه أرتور ! إنه أرتور ! .

المفتش : وهل أرتور هو الذى يجعل المفتشين يقتلون الدودة ؟

البنات : لا ! لا ! المجمع ! المجمع !

بقية الحاضرين : المجمع !

المفتش : شيء يبعث على اليأس يا سيدى العمدة ! لم أر مثل هذا فى حياتى .

العمدة : ربما كن أقوى من ذلك فى التاريخ ...

المفتش : فى التاريخ ؟ ولكن ألا ترى الإلام ترمى هذه التربية ؟ إنها لا تهدف إلا إلى تخليص هذه العقول الصغيرة من شرك الحقيقة الذى طرحه على بلدنا القرن التاسع عشر الجليل . ولكن فى التاريخ ! هل سيكون الأمر مثلما هو فى الحساب أو فى الجغرافيا ! وسترى ! أنتِ ، ما الذى يسود الآن بين فرنسا وألمانيا ؟

إيرين : الصداقة الأبدية . السلام .

المفتش : هذا قليل جداً . أنتِ ، ما هى الزاوية القائمة ؟

لوس : ليس هناك زاوية قائمة . الزاوية القائمة لا وجود لها فى الطبيعة . إن الزاوية الوحيدة التى تكاد تكون قائمة تنتج من مد خط وهمى يصل الأنف الإغريقى بالأرض الإغريقية .

المفتش : طبعاً ! وأنت ، ما هو حاصل جمع اثنين واثنين؟

ديزى : أربعة ، يا سيدى المفتش .

المفتش : أنظر يا سيدى العمدة ... آه ! معذرة . إن هؤلاء الصغيرات يفقدننى صوابى . ومع ذلك

فكيف يرين أن اثنين واثنين يساويان أربعة ؟
وبأى ضلال جديد ، ومغالاة فى الشذوذ ،
تصورت هذه المرأة هذا الجدول الزائف المطابق
تماماً للجدول الحقيقى ! ... إننى على يقين من أن
أربعتها إنما هى أربعة مزورة . إنها خمسة
فاجرة مستترة . إثنان واثنان يساويان خمسة ،
أليس كذلك يا صغيرتى ؟

ديزى : لا ، يا سيدى المفتش ، أربعة .

المفتش : وعنيدات ، فوق ذلك . أنتِ ، أنشدى لى المارسييز .

العمدة : وهل ذلك فى المنهج يا سيدى المفتش ؟

المفتش : فلتنشد المارسييز !

إيزابيل : إنها تعرف ذلك النشيد ، يا سيدى المفتش . مارسييز البنات طبعاً .

ديزى : إننى أعرفه يا سيدى العمدة . إننى أعرفه (تنشد)
مارسييز البنات
إن وطن البنات هو أن يكون لهن زوج فى المستقبل
ليدع بول أو جون أو ديمترى
بشرط أن يعرف كيف يحب وكيف يكون
أنيقاً فى ثيابه .

إيزابيل : أنشدن اللازمة !

البنات : إلى مارسيليا ، إلى مارسيليا .
إن الوطن هو الشمس
والرابع عشر الحقيقى من شهر يوليو
هو مارسيليا المشمسة !

المفتش : يا للعار ! ومتمشطات ، كل حسب هواها !
وهذه العلامة الحمراء التى فى رقابهن ، أهى مصل ؟

لوس : كلا ، يا سيدى المفتش ، إنها من أجل الأشباح !

المفتش : ها قد وصلنا . كانت الفتاتان منجبوا على حق . الأشباح ؟

لوس : الأشباح ، الأطياف . هذه هى العلامة التى تتعرف بها الأشباح على أصدقائها . إن الآنسة ترسمها علينا بنفسها كل صباح .

المفتش : أمحونها !

لوس والصغيرات : أبداً ! أبداً ! أبداً !

فيولا : إننا فى غاية الخوف .

البنات : إننا فى غاية الخوف ، فالشبح فى أطراف المدينة .

المفتش : إمحونها ، وإلا صفعتيكن !

البنات : إننا فى غاية الخوف ! فالشبح فى أطراف المدينة !

المفتش : أسكتن ، واعلمن أنه ليست هناك أشباح بعد الموت ، أيتها السفيهات ، إن هناك هياكل ، وليس هناك أطياف ، وإنما عظام وديدان . كررن جميعاً ما قلته الآن ، أنتِ ، ماذا يوجد بعد الموت ؟

العطار : لا تفسد فكرتهن عن الحياة يا سيدى المفتش .

المفتش : ستظل فكرتهن عنها دائما ممتازة يا سيدى العطار . سأعلم هؤلاء الغبيات معنى الحياة : إنها مغامرة مفجعة . مرتبات حقيرة للرجال فى بادىء الأمر ، وترقيات بطيئة كالسلحفاء ، ومعاشات تافهة ، وأزرار ياقة متمردة . وأما الغبيات أمثالهن ، فثرثرة وخيانات وآنية وحامض الكبريت . إن هؤلاء السفيهات جعلننى أتحدث شعراً لأول مرة فى حياتى . آه ! إنك تعلمين بناتك السعادة يا آنسة !

إيزابيل : إننى أعلمهن ما ادخر الله لهن !

المفتش : كذب . إن الله لم يدخر السعادة لمخلوقاته : إنه لم يدخر لهم سوى معوضاتٍ ، صيد السمك بالسنارة ، والحب والهذيان . يا سيدى العمدة ،

لقد اتخذت قرارى ، إن المراقب ، الذى لا تستنفد أعماله كل وقته ، سوف يتولى مؤقتاً إدارة الفصل ! إلى أين أنتن ذاهبات أيتها الآنسات ؟ أتراه المجمع الذى يخرجكن دون استئذان ؟

إيزابيل : قدمن التحيات يا أطفالى .

المفتش : إثنتين اثنتين ، وأغلقن أفواهكن ، فإن حالات ابتلاع الهواء منتشرة فى هذه الناحية . ماذا تحملين هناك ؟

جيلبيرت : السبورة الزرقاء يا سيدى المفتش .

المفتش : فلتبق السبورة الزرقاء هنا ! لتبق مع الطباشير المذهب ، والمداد الوردى والقلم الأخضر كسلح الأوزة . ستستعملن سبورة سوداء منذ الآن ! ومداداً أسود ! وملابس سوداء ! فالأسود كان دائماً فى بلادنا الجميلة لون الشباب ... وانظرن إلى ! ولحسن الحظ فقد بدأن يتشابهن الآن . شهر واحد من النظام ، ولن نستطيع أن نميز إحداهن من الأخرى .... أما أنت ، يا آنسة ، فإننى سأكتب فوراً إلى والديك أخبرهما أنك عار على أسرتهما وعلى جامعتنا .

إيزابيل : إننى يتيمة يا سيدى المفتش .

المفتش : من حسن حظهما ، فهما على الأقل لا يريانك.

إيزابيل : إنهما يريانى ياسيدى المفتش ، ويقرّانى على ما أفعل.

المفتش : تهاً ! إن هذا يعطينا فكرة سامية عن التعليم الإبتدائى فى مقر الأرواح .

إيزابيل : أخرج ، يا سيدى المفتش .

المفتش : إننى خارج يا آنستى . ليس هناك باب ، ولكننى خارج . لسوف نتلاقى . سأظل هنا حتى أقضى على هذه الفضيحة ... تعالوا يا سادة . أين قبعتى ؟ من الذى وضع قنفذاً مكان قبعتى ؟

فيولا : إنه أرتور ، يا سيدى المفتش ...

البنات : إنه أرتور يا سيدى المفتش ، إنه أرتور !

(يخرج الجميع ما عدا إيزابيل والعطار)

المشهد السابع

«إيزابيل والعطار»

إيزابيل : هل تريد أن تقول شيئاً يا سيدى العطار ؟

العطار : كلا . ليس لدى ما أقوله على الإطلاق .

إيزابيل : لديك ما تفعله إذن ؟

العطار : كلا . ليس لدى ما أفعله على الإطلاق . إننى باق لحظة للانتقال .

إيزابيل : أى انتقال ؟

العطار : فى مثل سنى يا آنسة ، يدرك كل فرد الشخصية التى أراد له القدر أن يمثلها على مسرح الحياة . وقد اختارنى أنا للانتقال .

إيزابيل : طبعاً ، أهلا بك دائماً .

العطار : ليس هذا بالضبط ما أريد أن أقول . ولكننى أشعر أن وجودى دائماً بمثابة هويس بين لحظتين يختلف مستواهما . أو طاسة تصادم بين فترتين تتضاربان ، بين السعادة والشقاء ، بين

الدقة والاضطراب أو بالعكس . وهذا معروف في المدينة ... فأنا الذي يكلف دائما بإبلاغ النساء اللاتي يلعبن البردج بحوادث تصادم السيارة المميت الذي يقع لعشاقهن ، وإبلاغ مريض القلب بنبأ فوزه بمليون جنيه من اليانصيب . إنني أنا الذي حملت نبأ إعلانِ الحرب إلى اتحاد أمهات جنود الجيش العامل ... أصل ، وبمجرد وصولي يتناول الماضي يد الحاضر الذي لم يكن في الحسبان .

إيزابيل : وهل ترى أن هناك ضرورة للحظة انتقال الآن ؟

العطار : إلى أقصى حد . فها نحن أولاء ، بسبب المفتش ، قد صرنا إلى حاضر مزر ، سخيف ، فظ . وليس من المحتم أن يكون المرء على جانب كبير من الفطنة لكي يشعر الآن أن ثمة لحظة رقيقة هادئة تسعى للهبوط في هذا المساء . وهناك أيضاً مجال الانتقال الذي يجب تهيئته بين إيزابيل التي نعرفها ، المتدفقة حيوية ، الإنسية ، وإيزابيل العاشقة الروحانية التي لا نعرفها .

إيزابيل : وكيف تتصرف ؟

العطار : معك ، ليس ثمة أيسر من ذلك . أما مع سيدة

البردج ، التي غرق عاشقها ، فقد اقتضى الأمر منى ربع ساعة بأكمله . فقد كان معها ورقة آس بمائة ، وثلاثة «روا» وكان اللاعبون يواجهونها بأوراق رابحة . لقد كانت متفوقة طبعاً ... إن نقلها من هذه النشوة إلى عشيقها إيمانويل الغريق ، لم يكن بالأمر الهين ... أما معك يا إيزابيل ، فلكى يحل الغموض محل هذه اللحظة المبتذلة ، يكفى أقل شيء ، حركة ، هذه الحركة ... صمت ، هذا الصمت ... (صمت قصير) أنظرى ، كاد الأمر يتم . فزملائى فى الانتقال ، الخفاش والبومة قد استهلا دورتهما برقة ... قولى فقط ماسم هذه اللحظة : وسيصبح كل شيء معداً .

إيزابيل : بصوت مرتفع ؟

العطار : نعم ، حتى يسمع ...

إيزابيل : قيل لى فيما مضى إنها تسمى لحظة الشفق .

العطار : لم يكذبوك ... ، وعند الشفق ، أى صدى يأتى من المدن الصغيرة ؟

إيزابيل : صدى الأبواق التى تتدرب . (أبواق) .

العطار : أنصتى إليها ... هناك ثلاثة أصوات هى الشوكة الرنانة فى بلدنا ، تمشيط الممرات فى غفلة الفجر ، وطلقة النار بعد صلاة العصر ، والأبواق عند شفق الغروب ..

إيزابيل : إنها تصمت .

العطار : وعندما يصمت آخر الأبواق ، من الذى ينتصب وسط الغاب والصفصاف ويعدل من وضع قبعته السوداء ، ويسير خلال السرو والدردار ، مرتكناً على الظلال التى يلفها الليل المقبل ؟ ...

إيزابيل : (مبتسمة) ــ الشبح ! الشبح !

العطار : (مختفياً) ــ هيا ... لقد انتهيت ! .

المشهد الثامن

(يزابيل – الشبح)

إيزابيل جالسة فوق الأكلة – أخرجت مرآتها ، تنظر فيها ، تتأمل عينيها وشعرها – يبرز الشبح من خلفها ، تراه فى المرآة . رجل شاب وسيم فى سترة من القطيفة . وجهه شاحب واضح المعالم . لحظة مواجهة كأنها محادثة صامتة . تخفض إيزابيل المرآة ، ثم ترفعها فتبعث بقعة من الشمس ، من الشمس الآفلة ، على الشبح الذى يبدو عليه أنه يتألم .

إيزابيل : آسفة على بقعة الشمس هذه !

الشبح : لقد انتهت . وجاء القمر .

إيزابيل : هل تسمع ما يقوله الأحياء ، كل الأحياء؟

الشبح : إننى أسمعك .

إيزابيل : لحسن الحظ ، كنت أتحرق شوقاً للتحدث إليك .

الشبح : للتحدث إلىَّ عمَّن ؟

إيزابيل : عن أصدقائك، عن أصدقائي ، أنا واثقة من ذلك، عن الموتى . فأنت تعرف أشياء كثيرة عن الموتى ؟

الشبح : بدأنا .

إيزابيل : وستقولها لى ؟

الشبح : تعالى إلى هنا كل مساء فى نفس الساعة وسأقولها لك . إسمك ؟

إيزابيل . إن اسمى فى الواقع غير ذى أهمية . ستقولها لى على ما أظن بطريقة أقل رزانة . ولن تجعلنى أعتقد أنهم لا يبتسمون أبداً ؟

الشبح : من ، هم ؟

إيزابيل : إننا نتحدث عن الموتى .

الشبح : ولماذا يبتسمون ؟

إيزابيل : ماذا يفعلون إذن ، إذا وقع أمر غريب فى مقر الأرواح ؟

الشبح : أمر غريب فى مقر الأرواح ؟

إيزابيل : غريب أو محرج أو غير منتظر . لأنى أتصور جيداً أنه يوجد موتى ينقصهم المهارة ، وموتى مضحكون وموتى ساهون ؟

الشبح : ما الذى عساه يسقط منهم . علام يمكن أن ينزلقوا ؟

إيزابيل : على ما يماثل عندهم البلور أو قشر البرتقال ... على ذكرى ... على هفوة ...

الشبح : كلا . فكل الموتى يتمتعون بمهارة عجيبة ... إنهم لا يصطدمون بالفراغ قط . ولا يتعلقون بالظل على الإطلاق ... ولا تغوص أقدامهم فى العدم أبداً ... أما وجوههم فليس هناك ما ينيرها أبداً ...

إيزابيل : هذا هو ما لا أستطيع إدراكه ، أن يؤمن الموتى أنفسهم بالموت . فمن الممكن أن نتصور مثل هذه السذاجة صادرة عن الأحياء . فمن الصواب أن نعتقد أن البلاهة والكذب والسمنة سيكون لها نهايتها وأن نعتقد كذلك أن الطيبة والجمال سيموتان . إن ضعفهم هو رونقهم . أما الموتى فإننى كنت أنتظر منهم شيئاً آخر . شيئاً آخر يتفق ونبلهم وطهارتهم وصفاءهم .

الشبح : أن يعتقدوا فى الحياة ، أليس كذلك ؟

إيزابيل : فى حياة الموتى ، دون أدنى شك ... هل تريد

أن أتحدث إليك صراحة . تراودني دائماً فكرة بأنهم ينقادون . أنا لا أتحدث عنك أنت ، فأنت هنا ؛ وأشكر لك ذلك . ولكنني أتصور أنه ربما يكفيهم قدر أكثر قليلا من العزيمة والانشراح لكي يفروا ويأتوا إلينا . ألم يوجد بينهم شخص واحد يرغبهم في ذلك ؟

الشبح : إنهم ينتظرونك .

إيزابيل : سوف آتي ... سوف آتي ... غير أنني لا أحس أنني عندما سأختفي ستكون لدى القوة والعزيمة . بل على العكس ، فإنني أشعر أن ما سيروق لي في الموت هو خمول الموت . تلك الميوعة الكثيفة الفاترة إلى حد ما ، التي لا تجعل هناك موتى وإنما غرقى فقط ... إن ما أستطيع أن أقوم به من أجل الموت لا أستطيع أن أنجزه إلا في هذه الحياة ... إستمع إلي ... إنني أحلم منذ طفولتي بمشروع كبير ... وهذا الحلم هو الذي جعلني جديرة بزيارتك ... قل لي : ألم يوجد بعد بين الموتى ميت عبقري ، ميت يستطيع أن ينشر بين جماهير الموتى الوعي بقوتها ، — إمبراطور مثلا أو مسيح موتى ؟ ألا تعتقد أن

كل شيء سيتغير على خير ما يرام بالنسبة لكم وبالنسبة لنا ، لو ظهر ميت شاب أو ميتة شابة ـ أو زوج معاً ، فذلك أجمل ـ يحبب إليهم وضعهم ويجعلهم يدركون أنهم خالدون ؟

الشبح : إنهم ليسوا كذلك .

إيزابيل : كيف هذا ؟

الشبح : هم أيضاً يموتون .

إيزابيل : أمر غريب . كم تفهم الأجناس نفسها فهماً خاطئاً ، إن جنس الهنود يعتقد أنه جنس أحمر . وجنس الزنوج يعتقد أنه أبيض ، وجنس الموتى يعتقد أنه فان .

الشبح : يحدث أن يصيبهم تعب ، أن يجتاحهم طاعون موتى ، أن يأكلهم خراج عدم ... فيتفضض رمادى أطيافهم الجميل ويتريت . وعندئذ لا تلبث النهاية أن تحل ، نهاية كل شيء ....

إيزابيل : عجيب ، إياك أن تصدق هذا ! ... فلابد وأن هناك طريقة لتفسير هذا الخور .

الشبح : نهاية الموت .

إيزابيل : كلا بالتأكيد ! لا تكن عنيداً ... قص عليّ كل شيء وأنا واثقة أننى سأفسر لك كل شيء أحسن تفسير .

الشبح : كل شيء ؟ . إسمك أولا .

إيزابيل : قلت لك إن اسمى لا أهمية له ... إن لى اسما مثل الجميع ... تكلم ... إمنحنى ثقتك .

الشبح : بعد موت الموت ...

إيزابيل : حسن جداً ... لقد أصبح الأمر ممتعاً الآن فقط . بعد موت الموت ماذا يحدث ؟ ... إننى أنصت لك ... ها ... (تنظر خلفها) لا أحد يستطيع أن يسمعنا ... لا أحد ... (عندما كانت تلتفت ، إختفى الشبح) أين أنت ؟ أين أنت ؟

(تنظر حولها فى يأس وتصرخ) : إيزابيل ! إسمى إيزابيل !

ستار

الفصل الثانى

(مظهر آخر من الريف . آجام من شجر الزان ...
سياج . لا يزال الأصيل بعيداً)

المشهد الأول

(المراقب . البنات ، ومعهن مصابيح كهربية ،
ثم العطار) .

المراقب : شكلن المثلث يا أطفالى .

(تشكل الصغيرات مثلثاً وهن ينشدن)

البنات : (ينشدن) :

إن الرجفة التى أحسها بوجينفيل (١)
كانت ذات مساء فى نوميا (٢)
عندما رأى نيران المثلث الثابت

---

(١) بوجينفيل : بحار فرنسى « ١٧٢٩ – ١٨١١ » قام برحلة حول العالم « ١٧٦٦ – ١٧٦٩ »

(٢) نوميا : عاصمة كاليدونيا الجديدة « المترجم »

تقطر فوق البوجينفيلات .

المراقب : حسن جداً ! الميزان !

(البنات ينشدن وهن يشكلن ميزاناً ذراعه أطولهن) : لو أن أمنية طفولتي تتحقق
فإنني أصبح ميزاناً
كفتاة البهجة والضيق .
لأزن ثقل الليل بسماء الجنوب ...

المراقب : الذئاب الأربعة !

العطار : (داخلا) صباح الخير أيتها البنات . هل تلعبن لعبة الأركان الأربعة ؟

المراقب : أركان السماء الأربعة ، نعم .
ليلة سعيدة ، يا سيدى العطار ، ليلة سعيدة .

العطار : لماذا ليلة سعيدة ؟ فالنهار لا يزال عالياً . ماذا تفعل هذه بمصباحها الكهربائى ، وقد باعدت بين ساقيها ؟

جيلبيرت : أنا البوصلة البحرية الجنوبية يا سيدى العطار .

المراقب : لقد فاجأتنا ونحن منهمكين فى درس الفلك .
إرفعى مصباحك يا جيلبيرت . إنك رائعة .

العطار : لقد أحسنت اختيار مسائلك . فستتمكن من

رؤية النجوم وهى تظهر الواحدة تلو الأخرى .
إنها ليلة جميلة بالنسبة لهؤلاء الصغيرات اللاتى
يردن أن يتعلمن العد حتى المليار . بل ولسوف
تظهر لكم الجوزاء كذلك —

المراقب : كلا للأسف . فإن المفتش يحتم على تلميذاتى
أن ينمن مع غروب الشمس .

العطار : وهل تحدثهن عن كواكبنا أمام سماء خالية ؟
طريقة رديئة من شأنها أن تثير الاشتهاء عند
هؤلاء الآنسات الصغيرات : سيبدأن فى اشتهاء
النجوم وكأنها قطع من الماس .

المراقب : حاشا لله ! فأنا أعلم تماماً أن البنات لا يعتقدن
إلا فيما يرون . إن أعينهن لا تسمح لهن بتمييز
قبتنا السماوية فى وضح النهار من خلال الهواء ،
غير أن هذا تمرين لخيالهن ، إذ يرون من خلال
الأرض كل أجزاء قبة الأفق الأخرى . أجل
إننا فى نصف الليل الجنوبى .

العطار : وهل يشعرن بذلك ؟ وهل يقدرن ذلك ؟

المراقب : أين الميزان الطائر ، يا ديزى ؟

ديزى : تحت سيدى العطار تماماً .

لوس : ولذلك فإننا نراه بهذا الوضوح .

المراقب : إن ميزة هذه الأبراج الأوقيانوسية هى أنها لم تكن معروفة لدى القدماء وأن أحد الفلكيين الطبيعيين أو الماسونيين قد قام بتسميتها . إنها سماء حديثة تماماً . وهى ليست حافلة بالأبطال وإنما بالأشياء : الساعة ، والمثلث ، والميزان ، والبرجل . كما لو كان معملا . والأطفال يعشقون المعامل ... فيولا ! إقفزى من المثلث إلى آلة تفريغ الهواء .

فيولا : عن طريق البوصلة ؟

المراقب : كلا ، عن طريق السمكة الجنوبية .

فيولا : إن المسافة أحد عشر ملياراً من الفراسخ .

المراقب : إقفزى قفزتين أيتها البلهاء . حسن جداً . أيتها البنات أعدن تشكيل صليب الجنوب .

(تشكل الصغيرات صليباً وهن ينشدن) :

البنات : يقول لابيروز (١) إنه لا حاجة
إلى معرفة التلمود (٢)

---

(١) لابيروس : ملاح فرنسى « ١٧٤١ ـ ١٧٨٨ » قام برحلة استكشافية حول العالم قتل فيها .

(٢) كتاب شرائع اليهود . « المترجم »

لاكتشاف وجه الأرض المقابل الحقود
فإن دفتي كانت صليب الجنوب .

المراقب : إن عيب هذه الطريقة طبعاً يكمن فى أننى أصور لهن السماء وكأنها أرضية وليست سقفاً ، والليل وكأنه شيء نسير عليه .

العطار : لا تخف . فعند أول دورة كاملة لقلوبهن سيجدنها فوقهن . إنهن منطقيات .

المراقب : منطقيات فى أننى أحصل منهن دائماً على عكس النتيجة التى أنتظرها . ففى هذا الأسبوع مثلا ، لكى أضع فى أذهانهن أنفع فكرة للإنسان ، وهى فكرة الحجم والثقل ، جعلتهن يزنّ معدن الزهر ، وحطمت ميزاناً للحرارة لكى أملأ لهن كشتباناتهن بالزئبق . ولقد أصررن على حملى جميعاً لكى يرون ماذا يزن الرجل . والنتيجة : أصبحن جميعاً متيمات بالشبح .

لوس : مثل الآنسة إيزابيل .

المراقب : ستعاقبين يالوس . أطفئى مصباحك . ستكونين نجمة ميتة لمدة عشر دقائق . هلا أطفأت ؟

لوس : إن النجوم الميتة تظل تلمع مليونى سنة بعد موتها .

المراقب : نعم ، والبشر ثانيتين . أطفئى ! وعلى أى حال إنه وقت الفسحة . إذهبن .

(تختفى البنات)

العطار : هل تهمك الآنسة إيزابيل كثيراً ؟

المراقب : لست وحدى للأسف ، منذ هذا الصباح وأنا أشعر أن المفتش أيضاً على علم بالأمر .

العطار : أى أمر ؟

المراقب : لا تتظاهر بالجهل . فأنت تعلم تماماً أن الشبح يداوم على الظهور ، وأننا صادفنا إيزابيل مراراً فى المناطق التى يعود إليها .

العطار : هذا من حقها .

المراقب : ليس هذا من حقها . هى التى كانت تخصنا جميعاً . وتمثل العقل الراجح فى المدينة ، بل وفى الطبيعة كلها . ليس لها الحق فى ذلك . لأنك يا عزيزى العطار لن تحاول أن تقنعنى بأنك تؤمن حقاً بوجود الشبح .

العطار : أنه قد سبق أن وجد ، لست متأكداً من هذا ، فعلا . ولكن أنه سيوجد هذا المساء ، هذا محتمل جداً .

المراقب : أنا لا أفهمك .

العطار : إننى أشعر تماماً أننا قد نستطيع أن نشهد هذا المساء ميلاد شبح .

المراقب : ميلاد شبح ؟ كيف ؟ لماذا ؟

العطار : كيف ، لا أعرف عن هذا شيئاً . ستكون هذه مفاجأة لنا . لماذا ؟ لأننى لا أتصور أن مثل هذا الجو قد ران على مدينتنا بدون سبب . فى كل مرة اتخذت الطبيعة فيها ، حيال تجمع الناس ، هذا الموقف الساخر وهذه التقطيبة المضحكة المقلقة ، تقطيبة جبين الفيل الذى يثيره قائده ، نتج عن ذلك حادث غامض ، ميلاد نبى ، أو جريمة طقسية ، أو اكتشاف نوع حيوانى جديد . فى لحظة من هذه اللحظات ظهر فجأة أول حصان أمام كهف أجدادنا ولن نثتثنى نحن من ذلك .

المراقب : أما هذا فصحيح . إن مدينتنا مجنونة .

العطار : بل هى فعلا فى الحالة التى تستجاب فيها كل الدعوات ، وتعتبر كل التهريفات صحيحة . وعند الفرد نسمى هذا حالة شاعرية . إن

مدينتنا فى نشوة شاعرية . ألم تلحظ ذلك على نفسك ؟

المراقب : فعلا . فنى هذا الصباح عند استيقاظى ، فكرت ، والله يعلم السبب ، فى ذلك القرد الذى يدعى الرباح ، والذى له فى مؤخرته ثلاثة ألوان . وبمن اصطدمت وأنا أدفع بابى ؟ برباح ، برباح مستأنس يسوقه بعض الغجر من سلسلة ، ولكن على أى حال كان هناك رباح على طوار بيتى .

العطار : وإذا كنت فكرت فى قنفد ، لكنت اصطدمت بقنفد . وإذا كنت فكرت فى زرافة لاصطدمت بزرافة . ولتم تفسير ذلك كله بطريقة طبيعية للغاية . مرور سيرك أو رحيل حاكم استعمارى أحيل إلى المعاش . إن المدينة فى حالة حظ . كشخص يلعب الرولت ويضع فى كل مرة على الرقم الفائز .

المراقب : ولكن ألا يجب علينا أن نشدد السهر على الآنسة إيزابيل ؟

العطار : بلا شك ، لأن الطبيعة لا تتمخض بدون

عواقب . والجبال لا تلد فئراناً ، والعواصف
لا تلد عصافير بل مواد بركانية وصواعق .
كل شيء يتدخل ليخلق لنا شبحاً . النور والظل
والغباء والخيال والأشباح أنفسها ، لو كان لها
وجود ، بالإضافة إلى المفتش .

المراقب : لقد خرج رقمنا الفائز . ها هو ذا ...

المشهد الثانى

(المراقب ـ المفتش ـ العمدة ـ العطار)

المفتش : أمر مستعجل ، أيها السادة . ها هو ذا الخطاب الذى أرسلته إلى الحكومة فى بريد خاص .
إقرأ يا سيدى العمدة ، فهو يهمك .

العمدة : هل تعتقد حقاً أنه يهمنى ؟

المفتش : كما يهمنى أنا ، وبخاصة النهاية .

العمدة : ولكن النهاية ، بالذات ...

المفتش : أرجوك أن تقرأها .

العمدة : يبدو لى أن الحكومة على وفاق تام معك ؟

المفتش : هى كذلك لحسن حظى .

العمدة : إنها تطبع قبلة على فمك المحبوب ، وتطلب منك مائة فرنك ، وتوقع صديقتك «آديك»

المفتش : آسف ، لقد خلطت . ها هو ذا الخطاب

الحقيقى . إننى أطالبكم بالجدية أيها السادة .
فنحن على أبواب ساعة محزنة .

العمدة : (قارئاً) — «لقد علم المجلس الأعلى بالأحداث الغريبة التى تثير الاضطرابات فى دائرتكم — ولما كان المجلس معتزاً بعلمانيته ، فإنه يهنىء نفسه ، إذ يرى أن الهستريا الجماعية تجد لها فى فرنسا مخرجاً آخر غير المعجزات ... والمجلس لم يكن ينتظر أقل من ذلك من أرض مقاطعة ليموزان التى عرفت كيف تطرح قنطرة من الاعتقادات المحلية الشاعرية بين طبيعية كهنة الحول وتطرف المعاصرين ، فوق الخرافات الكهنوتية ، فى الوقت الذى وهبت فيه للمسيحية ثلاثة باباوات .

المراقب : قول جميل . ممن يتكون المجلس الأعلى ؟

المفتش : إن اسمه يوضح لك : من أصحاب العقول العليا .

العمدة : (قارئاً) — «ومع ذلك فان طبيعة الاضطرابات التى يثيرها هذا الشبح فى حياة الدائرة لم تبلغ من الديمقراطية حداً كافياً لتبرير مشاركة صامتة

من جانب الحكومة . وبناء على ذلك فإن المجلس يخول لكم السلطات المطلقة لتهوية الإقليم نهائيا ، ويضع تحت تصرفكم القوى المدنية والحربية » .

المفتش : إذن ، أيها السادة ، إلى العمل ... ولنبه مطاردتنا.

العمدة : ألم تنتهه ، يا سيدى المفتش ؟ فمنذ خمسة عشر يوماً ونحن نقوم فى المدينة بملاحقة الحيوانات والأشخاص الذين يثيرون الشبهة لغرابتهم ، إن الصيد ينفد .

المفتش : حقاً ، وماذا كان جدول الأمس ؟

العمدة : لا يذكر .

المفتش : فيما يتصل بالناس ؟

المراقب : لقد وضعنا تحت الحراسة السجل الذى كان يقيد فيه أمين الرهون سراً ، رهونات مواطنينا الأخلاقية والشيطانية .

المفتش : وفيما يتصل بالحيوانات ؟

العمدة : لقد اصطدنا وقتلنا للأسف كلباً كان يشبه أحد سماسرة النشر بطريقة عجيبة ؛ ولكنه استعاد بعد الموت دلالة الإنسانية والإخلاص المألوفة عند جنسه . هذا قليل .

المفتش : هذا قليل . وماذا رأيت فى منامك هذه الليلة ، يا عزيزى العمدة ؟

العمدة : ماذا رأيت فى منامى . لماذا ؟

المفتش : إذا كان جو المدينة صافياً إلى هذا الحد ، فينبغى أن يتمتع سكانها بأجمل الأحلام فى فرنسا . هل تذكر ماذا رأيت فى منامك ؟

العمدة : بالتأكيد . كنت أصارع خنفستين هائلتين . ولكى يفلتا منى ، أصبحتا قدمى فى آخر الأمر . وكان الأمر أليماً . كانا يقرضان العشب وليس ما هو أصعب من السير بقدمين تقضمان العشب . وبعد ذلك تحولتا إلى «أم أربعة وأربعين» وعندئذ صار كل شىء على ما يرام . على أحسن مما يرام .

المفتش : وأنت يا عزيزى المراقب ؟

المراقب : شىء محرج يا سيدى المفتش .

المفتش : أنت فى الخدمة وتؤدى أعباء وظيفتك .

المراقب : رأيت أننى كنت أطارح الغرام بجنون امرأة كانت تقفز من خلال طوق وهى ترتدى الرودنجوت . وكان ثديها الأيمن مكشوفاً ، وهذه المرأة ، كانت أنت .

المفتش : وهكذا أيها السادة ، فهذا هو الحلم ، وأنا أعترف أنه يسرنى ، ذلك الحلم الذى تسمونه حلماً فرنسياً عادياً . وإذا ما ضربتموه فى اثنين وأربعين مليوناً ، فهل تظنون أن هذه الخلاصة الليلية جديرة بشعب يمتاز على شعوب العالم بتعقله وواقعيته ؟

المراقب : هذا محتمل بالنسبة لخلاصة الأربعة والستين مليون حلم ألمانى .

العطار : قصارى القول ، يا سيدى المفتش ، هل بدأت تتأثر بهذا الأمر الخارق للعادة ؟

المفتش : حان دورك أيها العطار . أما فيما يخصك أيضاً ، فقد فاض الكيل . فبفضل ابتسامتك الأبدية وصمتك الدائم ، لم تتقدم مقاومتنا لنفوذ إيزابيل خطوة واحدة فى المنطقة . وإنى أشعر أنك لست غريباً على هذه الشعوذات المستمرة ، التى كان يمكن أن تجد لها قيمة فى إحدى مساكن تورينج ، والتى تفسد قلب المواطن المستنير . يد خفية فى منتصف الليل ، تضيف دقة إلى الإثنتى عشرة دقة التى يدقها برج الكنيسة ، يكفى أن يجلس أحد كبار الموظفين على مقعد ،

حتى يصبح هذا المقعد حديث الدهان ، أو
يجلس فى شرفة حتى يستعصى السكر عن الذوبان
فى قهوته ، حتى وإن كانت تغلى . منذ برهة
اصطدم بى طائر المارتينيه بكل قوته وسط
صدرى ، فربما اعتاد أن يخترق أشباحكم .
ولكن حظه العاثر جعله يصطدم بكثافتى البشرية ،
إلا أن نظارتى الاحتياطية تهشمت . إننى أرتعد
عندما أفكر فى مخالفات الذوق السليم التى
سيحملها إلينا غداً سحب اليانصيب الشهرى ،
ولذلك فإننى أنذركم أننى عزمت منذ الليلة
على وضع حد لهذه التهريفات المخجلة بإخراج
إيزابيل من الموضوع نهائياً .

العمدة : وما شأن إيزابيل بهذه القصة ؟

المفتش : يا سيدى العمدة ، إن جميع من فى المدينة ، فيما عداك ، يعرفون أنه منذ نصف شهر والآنسة إيزابيل تتقبل موعداً يومياً .

المراقب : كذب .

العمدة : ما هذا الهراء ؟

المفتش : ليس هذا بهراء . فى كل مساء ، فى حوالى

السادسة ، فى مثل هذه الساعة ، تهرب إيزابيل من طرف المدينة وقد بدت عليها هيئة من يتظاهر بحمل المؤن إلى هارب فى مخبئه ، ولكن وجهها يكون أكثر نضارة ، وعيناها أكثر اتقاداً وفى نفس الوقت أكثر ذبولا ، وبما أن يديها تكونان فارغتين ، فمما لايدع مجالا للشك ، أن المؤن التى تحملها إلى هذا اللاجىء ، هى ذلك الدم ، تلك الحياة ، ذلك الحنان ... باختصار وجبة شبح . وربما كان معها الحلو أيضاً .

المراقب : سيدى المفتش ؟

العمدة : إسمع ، يا سيدى المفتش . إننى إذا كنت ، هذا الصباح ، قد هيأت لك الفرصة لكى تتناول الإفطار مع إيزابيل ، فقد كان ذلك فعلا لكى أبين لك أن كل ما فيها حقيقى ، حى ، هل صادفت فى حياتك شهية إنسانية أعظم من ذلك ؟

المفتش : هذا هو ما يخدعكم . لقد لاحظتها جيداً ، لقد أكلت طبعاً من الأرنب ، وسببت خسائر فادحة فى صنف الفطائر ، ولكننى لاحظت أنها ، بالإضافة إلى الغذاء الحقيقى الذى كان يتكون من اللحوم والقشدة ، كانت تلتقط على

غير انتباه منها فتاتاً من الخبز ، وحبات من الأرز وكسراً من البندق ، باختصار ، كانت تتناول وجبة من تلكم الوجبات التي نضعها في القبور . فمن في ذاتها ، كانت تغذيه هكذا ؟ وفي ملابسها ، إلى جانب ثوبها وعقدها ميزت إيزابيل أخرى ، بالغة الشحوب ، مزينة ، متهيئة للقاء جهنمي . إنها تؤمن بذلك على الأقل . وإيزابيل هذه هي التي تتوجه خفية في هذه اللحظة إلى طرف الغابة ، والتي سنهاجمها فوراً ودونما تأخير .

العمدة : ولكن ما الذي يحسن عمله في رأيكم ؟

المراقب : سيدي المفتش . لنتجنب أية حادثة أو أية فضيحة . إن الآنسة إيزابيل تحب أن تثرثر معي في بعض الأحيان ، فدعني أتحدث إليها وأنبهها إلى الأخطار التي قد تنتج عن سلوكها ... وأنا واثق من إقناعها .

العطار : وهل يمكن أن نسألك عن الطريقة التي سوف تخضع بها إيزابيل ؟

المفتش : بالقوة فإنني لم أتلكأ بدون سبب ، حتى تضع

الحكومة قوة المدينة تحت تصرفى . لابد من القضاء على قصة الشبح هذه . فبذلك فقط أستطيع أن أنال من هيبة إيزابيل . وإن رأيى ليختلف عن رأيك ، إذ أعتقد أننى لا أواجه شبحاً ، وإنما أواجه قاتل القصر الذى تحدثت عنه . فهنا يلتقيان ، والآن تقريباً . ولقد جئت لكى أنصب له كميناً ، فإن جنود القوة العامة المختبئين وراء هذه الأجمة سيمسكون به بإشارة منى .

العمدة : لا تعتمد على الخفير ، يا سيدى المفتش . فنحن فى بداية موسم الصيد وهو الآن يقوم بجولته .

المفتش : سألجأ إذن إلى الشرطة .

العمدة : إن جنود الشرطة فى المحجر الصحى يحتجبون عن الشرفاء والمجرمين على السواء فقد تفشت بينهم حالة حمى .

المفتش : لا يهم أن يصاب مفتش بالحمى .

العمدة : ليس هذا رأى النيابة ، لأن النيابة هى التى سيصيبها المجرم بدوره بالعدوى ، إبتداء من الحاجب حتى النائب . والعدالة التى تريد أن تكون صحيحة تستلزم مجرمين أصحاء .

المفتش : إنك لن تقنعني بسهولة ، يا سيدى العمدة . لقد توقعت تباطؤكم فى مساندة مجهوداتى فاتخذت جميع الإحتياطات .

العمدة : ماذا صور لك خيالك أيضاً ؟

المفتش : شيء بسيط جداً . فقد علمت أن المدينة المجاورة تخفى أول رجل فى فرنسا لا يخشى الاجتماع بقطاع الطرق الموتى والأحياء .

العمدة : الجلاد القديم الذى اعتزل هناك ؟

المفتش : هو بعينه ، وقد استدعيته بإعلان أعده فيه بخمسمائة فرنك . هل تعرفه ؟

العمدة : لا أحد يعرفه ، فهو يعيش فى عزلة تامة . ولكن مع الأسف فان إعلانك أكيد المفعول . وأين سيلقاك ؟

المفتش : هنا بالذات . وأنا فى انتظاره وبالسلاح .

العمدة : ولكن الآخر يمكن أن يقاوم ، ويدافع عن نفسه .

المراقب : سيدى المفتش ، أرجوك ، إسمح لى قبل فوات الأوان ، أن أتحدث أولا إلى الآنسة إيزابيل .

المفتش : صه ، أيها السادة . ها هى ذى . فأنتم ترون أن

تخميناتى تتحقق . أمامك خمس دقائق لإقناعها يا سيدى المراقب . وإلا فإننى سأتصرف ... سأتركك معها . أما نحن فذاهبون للقاء ذلك الجلاد الذى يبدو لى أنه تأخر .

العطار : إن الجلاد لا يضبط ميعاده إلا مع الفجر .

(يخرجون) .

المشهد الثالث

(المراقب ، ثم إيزابيل)

المراقب : يا لرشاقة خطوك يا آنسة إيزابيل ! فسواء سرت على الحصى أو على العوسج ، فإننا لا نكاد نسمعك . إنك مثل اللصوص الذين يصعدون فى المنازل ، دون إحداث أى طقطقة فوق السلالم ، على رؤوس المسامير التى تثبت الدرج ، تضعين خطواتك على ندبات الإقليم نفسها .

إيزابيل : إنك تجيد الحديث يا سيدى المراقب . فمن الممتع أن نسمع لك .

المراقب : أجل . إننى أجيد الحديث عندما أريد أن أقول شيئاً . ولكننى لا أقول ما أريد بالضبط . فعلى الرغم منى ، أقول شيئاً آخر ... ولكن هذا الشىء أقوله جيداً ... لست أدرى إذا كنت تدركين ما أعنيه ؟

إيزابيل : إننى أدرك أنك عندما حدثتنى عن ندبات الإقليم فإنك تريد أن تعبر لى عن بعض العاطفة . إنك لطيف للغاية مع النساء ... جميل جداً ما قلته عن السيدة لامبير .

المراقب : فعلا . عندما كنت أتحدث عنها ، لم أكن أفكر فقط فى السيدة لامبير .

إيزابيل : كنت تفكر فى معارضة المفتش . أشكرك . إن كل ما يقوم به هذا الشخص غامض بالنسبة لى وبغيض : هل تعرف لماذا يتجسس على ؟

المراقب : لقد قال لنا السبب توا . إنه يرى أن الاعتقاد فى الأشباح شىء غير طبيعى .

إيزابيل : وأنت يا سيدى المراقب ؟ ألا تؤمن أبداً بما هو غير طبيعى ؟

المراقب : لقد بدأت أتعود ذلك ، فغير طبيعى أن يوجد إنسان كامل كإيزابيل ...

إيزابيل : قول جميل ، ليس هذا بالتأكيد ما كنت تريد أن تقوله ...

المراقب : أوه ! يا آنسة إيزابيل ...

إيزابيل : (تبتسم له ، متأثرة) — غير طبيعى أن نعتقد

فى الأشباح ! إن ما أراه غير طبيعى أنا ، فهو عدم الاهتمام الذى يبديه الأحياء نحو الموتى . فإما أننا نعيش فى نفاق وأن ملايين المسيحيين الذين يؤمنون بأن للموتى حياة أخرى ، يقولون ذلك عن غير ثقة . وإما أنهم بمجرد أن يتحدثوا عنهم تتملكهم الأنانية ويصيبهم قصر النظر .

المراقب : ولكنك لم تعودى قصيرة النظر يا آنسة إيزابيل ؟ هل ترينهم ؟

إيزابيل : إن الرؤية لم تتضح لى بعد تماما . فأنا لا أرى منهم غير واحد .

المراقب : غير أنه جميل ، كما يقال فى المدينة ؟

إيزابيل : إنه لا يعاب .

المراقب : وقد يكون شاباً كذلك ؟

إيزابيل : فى الثلاثين من عمره . ولأن يوهب الإنسان الخلود فى الثلاثين خير له من أن يوهب الخلود بلحية بيضاء . أليس كذلك ؟

المراقب : هل يقترب منك ؟ هل تسمحين له أن يمسك ؟

إيزابيل : إنه لا يقربنى . وأنا لا أتقدم نحوه خطوة واحدة .

فإننى أعرف تماما ما يمكن أن تسببه نفثه الإنسان من فساد .

المراقب : وهل تظلان كذلك طويلا ، وجها لوجه ؟

ايزابيل : ساعات .

المراقب : وترين أن هذا منطقى حقا ؟

إيزابيل : سيدى المراقب العزيز ، لقد أرغمت طيلةشبابى ، إرضاء لأساتذتى ، على رفض كل دعوة من غير هذا العالم . إن كل ما علموه لنا ، لزملائى ولى ، عبارة عن حضارة أنانيين ، أدب نمل أبيض ، فسواء كنا فتيات صغيرات أو شابات ناضجات ، كان علينا أن نغض الطرف أمام الطيور الزاهية الألوان ، والسحب المتعددةالأشكال والرجال المفرطين فى رجولتهم ، وأمام كل شىء فى الطبيعة يعتبر نداء أو إشارة ، لقد خرجنا من الدير ونحن لا نعرف حق المعرفة من العالم غير جانب ضئيل من البطانة الداخلية لجفوننا . وهذا بالطبع جميل جدا وسط الدوائر الذهبية والنجوم والمعينات الحمراء والزرقاء ، ولكنها حياة قاصرة ، حتى ولو أرغمت أخلص صديقاتك على أن تضغط بأصبعها فوق عينيك .

المراقب : ولكنك كنت أولى الناجحات فى الشهادة يا آنسة إيزابيل . هل علموك المعرفة الإنسانية ؟

إيزابيل : إن ما يطلقون عليه هذه التسمية ، هو على أكثر تقدير ، الديانة الإنسانية ، وهى أنانية مفرطة عقيدتها أن تجعل كل علاقة مع غير البشر مستحيلة وعقيمة . وأن تجعل الطفل يجهل ما سبق أن عرفه من لغات ما عدا لغة الناس . وفى هذا الحياء الزائف ، والطاعة البلهاء للأفكار الموروثة ، كم رفضنا من عروض عظيمة فى طبقات العالم وممالكه . أنا وحدى جرؤت على الاستجابة متأخرة جداً على أى حال ، ولكننى عازمة على الاستجابة . وإن استجابتى للموتى ليست الاستجابة الأولى .

المراقب : والأحياء ، هل تنوين يوما أن تستجيبى لهم أيضاً ؟

إيزابيل : إننى أستجيب لكل من يسألنى .

المراقب : وللإنسان الذى سيطلب إليك أن تعيشى معه ، أن يكون لك زوجا ، هل تستجيبين .

إيزابيل : سأجيبه بأننى لن أتزوج غير رجل لا يمنعنى من حب الحياة والموت معا .

المراقب : الحياة والموت ، هذا ممكن ، ولكن حيا وميتا ،

فهذا كثير . لأن معنى هذا أنك ستستمرين فى لقاء الشبح . لأنه إذا كنت قد فهمت جيدا ، فإنك قد تستمرين فى لقاء الشبح ؟

إيزابيل : بدون أدنى شك . فمن حسن حظى أن لى أصدقاء من عوالم أخرى وإننى أنوى الاستفادة من ذلك .

المراقب : ولا تخشين أن يكون لذلك أثره على مجرى حياتك العامة ، فيصيبها ضعف أو تصادفها العراقيل ؟

إيزابيل : فى أى شىء ؟ ماذا عسى أن يخجل الزوج أو ينقص من قدره إذا عاد من صيد الحيوانات أو صيد السمك فوجد امرأته تؤمن بالحياةالعظمى ، أو أغلق النوافذ فى المساء ، بعد اجتماع سياسى على زوجة تؤمن بالنور الآخر ؟ وساعة الفراغ التى تنفقها الزوجات الأخريات مع زوار خطرين أو مع ذكرياتهن ، أو آمالهن ، مع شبح حياتهن الخاصة ، مع عشاقهن ، لماذا لا تكون هذه الساعة ساعة صداقة خفية ؟

المراقب : لأن زوجك قد لايرضى أن يتقبل بينك وبينه ، حتى ما لا يرى ومالا يلمس .

إيزابيل : ان هناك فعلا عديدا من الأشياء التى لا تلمس

بين الزوجين ، فواحدة تزيد أو تنقص .

المراقب : بين زوجين ؟

إيزابيل : على الأقل أحلامهما ... على الأقل ظلاهما . أولا يحلو لك أبدا أن تطأ بقدمك ، ودون علمهم ، ظل أشخاص تحبهم ، وأن تستقر فيه ، وأن تداعبه ؟

المراقب : إن ظل زوجك ملك له ، والظل لا يشعر بشيء .

إيزابيل : إذن صوته .

المراقب : صوته ؟

إيزابيل : طبعا ، سيكون فى صوت زوجى نبرة ، تعجبنى وهى ليست هو ، وسأحبها دون أن أخبره بذلك . وحدقتاه ؟ هل تعتقد ياعزيزى المراقب أننى سأفكر فى زوجى دائما وأنا أنظر إلى حدقتيه ؟ إننى أريد زوجا كما أتمنى ماسه ، من أجل البهجة والإشعاع الذين سيهبنى إياهما ، دون أن يدرى. ألف شيء فيه سيشير إلى دائما بإشارات تخونه ، وسيكون الشبح طبعا أخلص له من مظهره الشخصى .

المراقب : إن كل ما نعرفه عن الأشباح هو أنها مفرطة فى

إخلاصها . إن عدم انشغالها بأى عمل يسمح لها بذلك . سترين بقعته الرمادية فى ساعات لن يكون فيها أكثر من دخيل ، وإذ تتأملين الموت أمامك لن تجنى فى نهاية الأمر غير هذه الاضطرابات التى تصيب أعيننا من جراء التحديق فى الشمس .

إيزابيل : هناك شمسان ، وليست الشمس القائمة بالنسبة لى هى أقلهما دفئا أو أقلهما أهمية .

المراقب : حذار ، يا إيزابيل ، حذار !

إيزابيل : ممن ؟ مم ؟

المراقب : إحذرى الموت أو من يدعون أنهم موتى ، أولئك الذين يحومون حول فتاة . إن نواياهم ليست بريئة .

إيزابيل : وهل نوايا الموتى أكثر براءة ؟

المراقب : إن لعبتهم معروفة . إنهم يعملون على فصل شخص عن جمهرة البشر . فيجذبونه بتأثير الشفقة أو الفضول ، بعيداً عن القطيع الذى يهيم بالأثواب وأربطة العنق ، الذى يحب الخبز والخمر ، ويشدونه إليهم . إن شبحك لا يفعل شيئا غير ذلك .

إيزابيل : لا تلح يا سيدى المراقب العزيز . واعلم أنه ، بين هذا العدد الذى لا يحصى من الموتى ، فإن

شبحى ، كما تقول ، هو الوحيد ، الذى استطاع أن يصل إلى . وتأكد أنه ليس الوحيد الذى أغرته هذه الرحلة . فكثيراً ما أشعر أنه من محيط الأشباح تتكون تيارات ، وتتجه أمواج نحو هذه المرأة الشابة التى تؤمن بها . إننى أشعر برغبة كل منها فى أن تنفصل عن الأخريات ، وأن تستعيد جسداً ، مظهراً . إننى أحس أنها قد فهمتنى وأنها تدل الحشود الأخرى علىَّ . إنها تدرك جميعا أننى لن أستقبلها بأسنان مصطكة أو تعويذات ، وإنما سأستقبلها بإنسانية ، ببساطة ... إن ما يريده الموتى فى زيارتهم ، هو أن نقول لهم : «استريحوا من راحتكم الأبدية. إجلسوا . سأتصرف كما لو لم تكونوا هنا ... » هو أن يروا كسرة خبز وأن يسمعوا طائراً فى قفص ، هو أن يلامسوا النموذج الأسمى للنشاط ، وهو بالنسبة لهم موظف على المعاش ، هو أن ينشقوا أحدث عطر يفوح من فتاة ، عطراً استخلصه الأحياء من الأرواح الصناعية والورود ... « هيا بنا نرى إيزابيل ، إنها فى انتظارنا » هكذا يقول هناك آلاف الملايين من السكون ، » ... هيا بنا ... فربما يسعدنا

الحظ أيضاً برؤية معاون الطرق والمحصل ... »
ولكن القوة تعوزهم لمثل هذه الرحلة ، وعلى
مدى الصوت من مكتب الخزينة ، ولكن بلا
صوت ، وعلى مدى العين المجردة من نقطة
الشرطة ، ولكن عُمى ، يترددون وتشتتهم أو
تجرفهم موجة من الأعماق ... فقط ، شبحى
أنا ، بقوة أو عزيمة خارقة ، إستطاع أن يعبر
الهاوية . فهل يطاوعنى قلبى فألقيه فيها من جديد ؟

المراقب : إيزابيل ! إياك أن تمسى أطراف الحياة الإنسانية ؛
حدودها ، إن عظمتها فى كونها مختصرة وزاخرة
بين هوتين . معجزتها فى كونها عديدة الألوان ؛
سليمة ، جاسمة بين لا نهائيات وفراغات. فما أن
تدخلى فيها قطرة، قطرة واحدة من دم الظلمات،
حتى تواجهى النتائج التى يواجهها ذلك الذى
يسكن عالمنا الأرضى ، فيحدث، أثناءقيامه
بتجربة منحوسه أو بتحضير معدن أثقل ، أو
بطريقة مبتكرة للضحك أو العطس ، أن يفسد
جاذبيتنا . إن أقل لعب فى العقل الإنسانى يضيعه ،
إن كل إنسان يجب ألا يكون غير حارس على

أبوابه . وقد تخدعين إذ تفتحين مذعنة لدفعة أول قادم من الموتى .

إيزابيل : واحد فقط هو الذى اقتحم . آلاف الملايين كانت تدفع .

المراقب : تماما ، وتستطيع آلاف الملايين أن تتبعه .

إيزابيل : وأين الضرر فى ذلك ؟ لا تلح يا سيدى المراقب العزيز . لقد سألتنى رأيى فى الرجل الذى يريد أن يضمنى يوما بين زراعيه وقلت لك رأيى. فإذا كان لكى يصرفنى عن كل ما يدعوننى ، واذا كان ليغلق كلماتى بفمه ونظراتى بعينيه ،لكى نساند كل هذه الأزواج الأخرى التى لا نرى منها غير الزهور الثنائية ، فى تقوية الحصار الإنسانى البائس ، فعليه ألا يقربنى . إن كنت تعرفه ، حذره . سأعاود رؤية الشبح . ليس هناك مجال للاختيار ... وداعا ، إنه ينتظرنى .

المراقب : ينتظرك ؟ أتوسل إليك يا آنسة إيزابيل . على أى حال لا تقابليه اليوم .

إيزابيل : إننى ذاهبة .

المراقب : استحلفك . لمصلحته ، لا تذهبى إليه . إن المفتش ينصب لكما فخا ! لا تقابليه !

إيزابيل : سأقابله ، واليوم بالذات، وفى هذه اللحظة . وأرجوك أن تذهب يا سيدى المراقب العزيز لأن الموعد يقترب .

المراقب : حسن . سأبقى ، سأراه أيضاً .

إيزابيل : إننى أشك فى ذلك ، فسيخيب ظنى لو ظهر لغيرى .

المراقب : سأراه ، وسألمسه ، وسأثبت لك خداعه .

إيزابيل : لن تراه أبدا .

المراقب : لماذا ؟

إيزابيل : لماذا ؟ لأنه هنا فعلا .

المراقب : أين ، هنا ؟

إيزابيل : هنا ، قريباً منا : ينظر إلينا ويبتسم .

المراقب : لا تمزحى ! إن الساعة خطيرة . إن المفتش يضع الآن رجالا مسلحين ليقبضوا عليه حيا أو ميتا .

إيزابيل : شبح ، حى أو ميت ، أمر مضحك ... أوه ! ها هو ذا القمر . القمر الحقيقى يا سيدى المراقب ! أنظر إلى كل هذه الحواشى المذهبة (تختفى) .

المشهد الرابع

(المراقب . المفتش . العمدة . العطار ... ثم الجلادان)

المفتش : ايه ، ماذا وراءك يا سيدى المراقب ؟ إن هيأتك لا تدل على أنك وفقت فى مهمتك ؟

المراقب : سأكون غدا أكثر حظا .

المفتش : هو ذاك ، غدا ! أما اليوم فتكرم بجمع تلميذاتك اللائى يهمن فى الغابة ويوشكن أن يضللن طريقهن مع الليل .

(المراقب يخرج)

المفتش : (يشير للجلادين خلف المسرح) — إلينا أنتما الإثنان . أنت ، هل تدعى أنك الجلاد القديم ؟

الجلاد الأول : أنا هو .

العطار : إذن فمن يكون هذا ؟ .

الجلاد الثانى : أنا ؟ إننى أنا الجلاد القديم .

المفتش : أحدكما كاذب ، أحدكما دجال يريد أن يحصل على جائزة الخمسمائة فرنك . (الجلادان يحتجان فى وقت واحد)

أوراقكما . ضبطت المزور . إن أوراقك تكشفك يا صديقى . هل أنت عازف البأس القديم فى ملهى الإنجيان ؟

الجلاد الأول : إن مراقبة الأمن العام ، كما تعلم ، لا توضح مهنتنا الحقيقية فى أوراقنا . إنها لكى تجنبنا المضايقات ، تنتحل لنا مهنة غير مهينة ، وهى تفضل المجال الموسيقى .

الجلاد الثانى : هذا صحيح . أنا مثلا معروف بأننى عازف ناى .

المفتش : أريانا ما فى جيوبكما . يا سيدى العمدة ، لنحاول من هذه العلامات أن نعرف أيهما الجلاد .

العمدة : هذا معه بريمة ، وصدفة قديمة ، وخلالتان للأسنان

المفتش : شىء عادى جدا .

العطار : وذاك معه فضلة قلم حبر وملبستان ومشط حريمى .

المفتش : إنها تقريبا الأشياء التى نجدها فى جيوب أولئك الذين نضطرهم لإفراغها فجأة .

العمدة : ومع ذلك فيبدو لى أن التمييز بين جلاد وبين مواطن مسالم أمر بالغ البساطة .

المفتش : فلتحاول أنت بنفسك .

العطار : يبدو أن شعر الكلاب ينتصب أمام الجلاد . لنقبض على كلب أحد الرعاة .

المراقب : ليس لدينا الوقت ! إن الأفضل أن توجه إليهما

بعض الأسئلة الخاصة بمهمتهما . إن الامتحانات هى عملك .

المفتش : لا بأس من امتحان الجلادين ... إننى أفضله مع ذلك على امتحان البنات ... أنت ، من أى خشب تصنع المقصلة ؟

الجلاد الأول : من خشب الصليب المسيحى ، من القرو ، ما عدا إطار المقبض .

الجلاد الثانى : فهو من خشب الصليب الهندى ، من خشب التك ...

المفتش : أنت ، ماذا قالت مدام دى بارى وهى تصعد إلى المشنقة ؟

الجلاد الأول : قالت : « لحظة أخرى يا سيدى الجلاد ، لحظة أخرى ... »

المفتش : وأنت ، من الذى قال للجلاد : « إياك وذقنى أيها الجلاد . فإننى أحتم ألا تمس. لأن الحكم على كان بفصل رقبتى لاذقنى .

الجلاد الثانى : توماس مور أو موروس سنة ١٥٣٥ .

المفتش : لن أستطيع كشفهما . أنت ، ماذا تعرف عن أمر يناير ١٨٤٧ ؟

الجلاد : إنه أمر دونوارييه دى سيجونزاك وبه أخطر

المحكوم عليهم بالإعدام إن التنفيذ عملية جادة .

الجلاد الثانى : ومنع الضحك أو المزاح على المنصة لإثارة البهجة بين الجمهور .

المفتش : أنت ، ما هى أغنية الجلاد ؟

الجلاد الأول : أيهما ، أغنية الجلاد المتأنق ؟

الجلاد الثانى : أغنية الجلادة؟

المفتش : أغنية الجلاد المتأنق . هل تعرفها ؟

الجلاد الثانى : إننا لا نعرف إلا هذا .

الجلاد الأول : أغنية الجلاد المتأنق :

عند مفرق السوق
وأنا أشنق بالمقصلة
ضمختنى زهرة خوخ ذهبية
بزينتها .

الجلاد الثانى : لا أوبيجان ولا جيرلان
فى ماء زينتى
فقد يقول محكوم عليه غير متمرس
إننى أحدث له دوارا

الجلاد الأول : ولكن ، زهرة خوخ ذهبية

الجلاد الثانى : تصبغ يدى باللون الوردى

الجلاد الأول : لقد لامتنى مارى ستيوارت على ذلك

الجلاد الثانى : ولأرافاثول يصبغها .

المفتش : إلى الشيطان أنتما والامتحان . فمادمتما تصران على أن تكونا اثنين فستتقاسمان الجائزة . مارأيكما ؟ (موافقة) هل معكما السلاح ؟ (تصديق) .. مسدسات ؟ عظيم ! أعداها واختبئا وراء هذه الأجمة .

الجلاد الأول : ألن تنتظر طويلا ؟ فإننى أصاب بالغثيان إذا سهرت إلى ما بعد منتصف الليل .

المفتش : سيتم كل شىء بعد ربع ساعة.. ستأتى فتاة من هذا الطريق . .

الجلاد الثانى : سلام للجلاد الأوحد الحقيقى ، الحب .

المفتش : وفى تجاه الأجمة ، سيظهر شاب فجأة ..

الجلاد الأول : سلام للمحكوم عليه الأوحد الحقيقى ، العشيق .

المفتش : دعاهما يتحدثان خمس دقائق ، وبعد ذلك اتفقا على إشارة لكى تطلقا عليه الرصاص . إنه قاتل خطير . والحكومة تجيز لكما ذلك .

الجلاد الثانى : مثلا ، عندما يقول : مسلة وأهرام !

المفتش : لماذا ؟

الجلاد الثانى : لأنهما كلمتان يمكن أن نسمعهما جيدا . وهما

الكلمتان المتفق عليهما كإشارات بينى وبين مساعدى .

المفتش : من الممكن ألا ينطق كلمتى مسلة وأهرام قبل عدة سنوات ! ولكن هناك كلمة يحبها هذا الصنف من الأشخاص وتتردد دائما فى حديثه .

العمدة : ما هى ؟

المفتش : كلمة : حى !

الجلاد الأول : اتفقنا ، بمجرد أن ينطق كلمة حى .

الجلاد الثانى : حى .

العطار : حذرهما يا سيدى المفتش .

المفتش : فعلا ، على أن أحذركما .. سؤال أخير . من هو اكسيل بيترسين . أيها الصديقان ؟

الجلاد الأول : إنه الجزار جلاد جوتبورج .

الجلاد الثانى : الذى شنق شبحا بالتأكيد .

المفتش : ها قد حذرتكما ... فعلينا ألا نضيع الوقت ... ولنبدأ بالبحث عن إيزابيل . فمن المؤكد أنها ستقودنا اليه .

(العطار يضحك) .

المفتش : أما أنت ، أيها العطار ، فإلى العمل أنت أيضاً .

العطار : ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك ؟

المفتش : إذا كان صحيحا أن تخصصك فى هذا العالم هو أن تغير بكلمة أو بحركة طبقات الصوت فى الجو وأن تجعل الأحداث التى لم تكن فى الحسبان طبيعية ، فإلى العمل ! ومن الممكن أن تبلغ ذلك ببيمول (١) أو بديز (٢) .

العطار : إعتمد على .

(يخرج المفتش والعطار) .

---

(١) بيمول : علامة موسيقية تخفض الصوت نصف درجة .

(٢) ديز : علامة موسيقية ترفع الصوت نصف درجة .

المشهد الخامس

(العمدة ، العطار)

العمدة : تبتسم فى مثل هذه اللحظة ، أيها العطار ؟

العطار : ذلك لأننى وجدتها يا عزيزى العمدة .

العمدة : ماذا وجدت ؟

العطار : شوكاتى الرنانة .

العمدة : نحن الآن لسنا بصدد شوكات رنانة . لقد سمعت توا ، أننا بصدد جريمة قتل .

العطار : أنظر إليها . إننى لا زلت أفضل هذا النوع الذى ينفخ فيه ، لا تنفخ الآن يا صديقى ، والذى نظن أنه ناى «بان» إله الرعاة ، نايه الحقيقى ذو النغمة الواحدة أفضله على هذه الآلة الأخرى المعدنية التى لا تشبه إلا القيثارة أوالمغناطيس . لا تمسكه هكذا ياصديقى العزيز . إنك تمسكه كما تمسك مكواة الشعر .

العمدة : إننى أعجب لذلك . إننى لم أمسك مكواة شعر

فى حياتى . إن ثمة حياة إنسانية يجب حمايتها .
أيها العطار . وأنت تمزح ! .

العطار : كانت الآلتان معى وكنت أظنهما قد فقدتا .
لو أن مليمين ضلا فى بطانة جيبى لرحت أصلصل
كما تصلصل البغلة بأجراسها ، ولتوارت موسيقى
العالم بأسرها فى الصمت . ها نحن قد نجونا ! .

العمدة : هل تعتمد على هذه الشوكات الرنانة لحماية
إيزابيل ؟

العطار : هل تعتقد يا عزيزى العمدة أن من الضرورى حقا
حماية إيزابيل ؟ ألا يذكرك حنق المفتش عليها
بشىء ؟

العمدة : بلى ، يذكرنى بحنق تلك الحشرات الجارحة التى
وقعت فى الأسر والتى تريد أن تلتهم بعضها من
خلال حاجز الزجاج .

العطار : لقد قلتها . إنهما يخوضان فى واقعين مختلفين تماما
بحيث لا يستطيع أحدهما أن يضير الآخر .
فالزجاج لا يفصل بينهما وحسب . إنهما يعيشان
فى مجالين مختلفين من الحياة بحيث أن ما يعتبره أحدهما
شبحا يعتبره الآخر لحما. والعكس بالعكس. إن
كل ما يمكن أن نخشاه هو أن المفتش ، فى ثورته

التى لا مبرر لها ، وصوته النشاز ، قد ترك هنا نشازا يكفى لتعكير جو إيزابيل عندما تصل .
فلا ينبغى لكل هذه الطبيعة التى تستمد منها إيزابيل حقيقتها الذاتية ، أن تخطىء الإيقاع تحت أناملها . غير أن الخطر ليس جسيما .

العمدة : إننى أدرك ما تقول . فيكفى ضابط إيقاع .

العطار : تكفى شوكة رنانة ...

العمدة : وكذلك تكفى طبيعة وديعة .

العطار : لا تشغل نفسك بذلك . إن الطبيعة تحب أن يصدر أعظم توافق نغمى عن ذلك الكائن الذى يطلق فى سيره وفى حديثه صوتا غير متوافق ، وهو الإنسان .

العمدة : هل تعتقد حقا أن فى إمكانى الذهاب وأنه ليس هناك خطر يهدد إيزابيل ؟

العطار : إن شوكتى الرنانة تضمن لك ذلك .

العمدة : وعلى كل فسأراقبهم .
(يخرج)

العطار : (بمفرده) — إن الإنسان ، على إيقاع مضبوط ، أكثر أمانا عما لو كان على ظهر سفينة عالية .
(ينفخ العطار فى شوكته الرنانة . تنتظم الطبيعة حسب إيقاعه وترجع كلها الصوت بينما هو يبتعد)

المشهد السادس

(الشبح – إيزابيل)

الشبح : هل كنت تنتظريننى ؟

إيزابيل : لا تعتذر . فأنا أيضاً لو كنت شبحا ، لتلكأت عند هذا الشفق وهذه الوديان التى لم أستطع حتى الآن أن أسير فيها إلا بجسد كثيف . ولاحتجزتنى هذه الأدغال وتلك الجداول . كل شىء كان سيحجزنى مما لم يعد يوقف خطواتى . بل إننى ما كنت لأكون هنا ، لو أننى أستطيع ، مثلك ، أن أحتوى بظلى كل مالا أستطيع إلا لمسه أو رؤيته ، وأتخذ لنفسى كهيكل لجسمى ، تبعا لمزاجى ، عصفورا قابعا فوق غصنه ، أو طفلا ، أو كمكان للانزواء ، شجيرة ورد برية بأزهارها . إن الاحتواء هو وسيلة الاقتراب الوحيدة ... ولكن الذى ألومك عليه ، هو أنك قد أتيت هذه الليلة أيضاً بمفردك ، دائما بمفردك . ألم

يستطع أحد أقرانك حتى الآن أن يتأثر بك ، وينضم إليك ؟

الشبح : ولا واحد .

إيزابيل : لقد فكرنا بالأمس ، بعد كل خطواتنا الفاشلة أن ما يمكن أن ينجح فى تنبيههم وإثارتهم ، وإيقاظ ما عسى أن يكون للطيف وللضباب من أعصاب ، لابد وأن يكون نوعا من صراخ طويل ، أو أنين طويل ، موحد ، يتكرر لفترة طويلة . مثل صراخ القاطرة الحقيقى أو الذى نحلم به لقاطرة توقظنا أحيانا فى الفجر بين الأحياء . أو ذلك الصراخ الذى تصدره صفارات البواخر فى الليل عند مدخل الخليج والتى يبلغ صوتها أفراس البحر الرخوة نفسها . هل أطلقت هذه الصرخة ؟ هل قضيت ليلة الأمس فى إطلاقها ؟

الشبح : نعم .

إيزابيل : أنت بنفسك ؟ بمفردك ؟ أولم ينضم إلى صوتك شيئا فشيئا آلافُ الأنات المشابهة ...

الشبح : لقد اصطدمت بنعاس الموتى .

إيزابيل : وهل ينامون ؟

الشبح : أو هذا نوم ؟ هناك فى أغلب الأحيان ، حيث

يتكدسون ، يكتنف المكان قشعريرة . يحركهم شاغل بالغ بحيث يبدو فى الإمكان أن يصدر عنهم انعكاس أوصوت . إن الجدد الذين يصلون فى هذه الأوقات يهيمون فى نوع من الاهتزاز السعيد تسكن عليه آخر الحسارة فى حياتهم . إن تمايل الأرض اللطيف يحركهم إلى الأبد . ولكن، على النقيض من ذلك ، ففى بعض الأحيان تتجمع جمهرتهم وتتجمد مثل الثلج ، وتروح فى ثبات عميق يغرق فيه الموتى الواصلون بنوع من النور، ذلك لأن نعاس الأحياء بريق وشمس .

إيزابيل : وهل كانوا هكذا بالأمس ؟ وهل سيستمر ذلك طويلا ؟

الشبح : قرونا ... ثوانى ...

إيزابيل : أوليس ثمة أمل فى نجدة ؟

الشبح : من جانبهم أشك فى ذلك .

إيزابيل : لا تقل ذلك . فإن من بين من وافاهم أجلهم حولى من أحسست منذ أول وهلة أنهم قد اختفوا للأبد ، وحذف اسمهم من كل حياة ومن كل موت . لقد ألقيت بهم فى العدم مثل الحجر . غير أن هناك آخرين أرسلهم إلىالموت وكأننى

كنت أرسلهم فى مهمة ، فى محاولة ، بدا لى موتهم كنوبة ثقة . كان جو الرحيل والقارة المجهولة يطوف حول القبر . لم يكن هناك مايغرينا بأن نقول لهم وداعا بالكلمات وإنما بالحركات. كنت أحس أنهم مهتمون طوال المساء بكشف مناخ جديد أو حياة نباتية جديدة . كان الجو مشمسا وكنت أراهم هناك وقد استشعروا فجأة شمسهم الجديدة . كانت تمطر وكانوا هم يتلقون أولى قطرات المطر الشديد . أظنك ستحاول إقناعى بأن هؤلاء أيضاً ينسون أوينهارون بمجرد وصولم ؟

الشبح : إنهم لم يصلوا ، لم أرهم .

إيزابيل : ولكن أنت. هل ستعدل ، هل مما يشبع آمالك ورغباتك أن تظل شبحا يهيم فوق مدينة صغيرة ؟

الشبح : إن منهم من يمشون وهم نيام ، إننى أحدهم .

إيزابيل : لا تصدق ذلك . فلقد جذبتك ، لقد أوقعتك فى الفخ .

الشبح : أى فخ ؟

إيزابيل : إن عندى فى منزلى فخا لجذب الموتى .

الشبح : هل أنت ساحرة ؟

إيزابيل : إن سحرى طبيعى ؛ فعندما تخيلت ما يمكن أن يفكر فيه الموتى ، لم أمدهم بذكريات ، أو رؤى وإنما كنت أمدهم بادراك البريق ، وكسر الضوء القائمة على زاوية المدفئة ، أو على أنف قط ، أو على ورقة أروم ، كنت أمدهم بحطامات ضئيلة ملونة سابحة فوق طوفانهم ..

الشبح : وبعد ؟

إيزابيل : وبعد ، فإن حجرتى فى ظاهرها حجرة أحياء ، حجرة إنسية صغيرة وحية فى الريف ، ولكننا إذا تأملناها عن كثب ، لاحظنا أن كل شىء فيها قد وضع خصيصا للمحافظة على علامة الضوء هذه ، فوق أشياء مألوفة ، فوق بطن زهرية ، أوزر درج ، من الشمس أو النار نهارا ، ومن القمر أو المصباح ليلا . هذا هو فخى . ولم أفاجأ فى ذلك المساء عندما رأيت وجهك فى النافذة . كنت تتأمل انعكاس اللهب على جدار المدفأة . وانعكاس القمر على جلية المنبه ، كنت تتأمل ماس الظلال . كنت قد وقعت...

الشبح : لقد وقعت .

إيزابيل : والسؤال الآن هو مجرد معرفة ما الذى أبقاك .

الشبح : الذى أبقانى ؟ صوتك أولا . ثرثرة صوتك هذه التى تجعل الأشباح كل مساء عند الشفق فى حال تشبه حال الناس مع القبَّرة فى الشمس . ولكن الذى أبقانى بخاصة إنما هى تلك الثقة الكريمة التى لم يراودك معها مجرد التفكير فى أننى يمكن أن أخدعك وأننى ...

إيزابيل : وأنك ؟

الشبح : وأننى حى ؟

(تسمع طلقتان ناريتان .. ويسقط الشبح على الأرض) .

المشهد السابع

(إيزابيل ، المفتش ، العطار ، العمدة ، الجلادان ، اللذان يظهران من جهتين مختلفتين ، ثم الشبح .)

العمدة : من أطلق النار ؟ ... من هناك ، على الأرض ؟

المفتش : إنك تراه : شبح مزيف ، ميت حقيقى .

العطار : ماذا فعلتم أيها التعساء ؟ !

المفتش : قدم لنا الشكر . فقد خلصنا إيزابيل من جنونها ، وخلصنا المدينة من الفكرة المسيطرة عليها ، وخلصنا الإقليم من قاتل .

العطار : لم يكن هناك أحد يؤمن بالشبح إيمانا جادا ، أيها المفتش . فمن تكون إذن حتى لا تدرك أن أية فتاة لها الحق فى أن تسمو فوق حياتها اليومية ، وأن تعطى لعقلها شيئا من الحرية ؟

العمدة : تعالى ، صغيرتى إيزابيل . فقد عوقب هذا الشاب على المهزلة التى كان يؤديها معك .

الجلاد الأول : لقد توقف نبض قلبه

المفتش : عظيم . فلا شىء يقلق فى الميت مثل قلب ينبض .

العطار : كم هو جميل ! إن جثة جميلة هى أجمل هدية لله . ألا تخجل أمامه أيها المفتش إذ كنت على صواب ... (يركع) معذرة يا إيزابيل .. معذرة أيتها الجثة الجميلة ...

المفتش : هل جننت ؟ علام المعذرة ؟

العمدة : على أن العامة دائما على حق ، على أن العيون الحسراء وحدها ترى بوضوح ، على أن هناك جثثا ولا أشباحا .

(فى مواجهة الجلادين ، يقوم شبح مماثل للجسد المتمدد . فيلمحه كل الحضور الواحد بعد الآخر. وتتوقف إيزابيل والعمدة عن الانصراف . العطار المنحنى وحده لا يرى شيئاً) .

العطار : على أن العالم غير خليق بك ، على أنه لا يقدم بسخاء غير وحشيته وحماقته : على أن المفتش على حق .

(الشبح فى ذروته) .

جلاد : سيدى المفتش ...

المفتش : أيها العطار هل زاغ بصرى ؟ أليس أمامنا شخص ؟

(يرفع العطار رأسه) .

العطار : بلى .

العمدة : بلى .

المفتش : شجرة أرز صغيرة ، على ما أعتقد ، تحركها الريح ، وانفعالنا يخلع عليها شكلا آخر .

العمدة : كلا .. هو ..

الجلادان : (معا) — إنه يتقدم .

المفتش : إهدأوا ، أيها الأطفال . إنها ظاهرة كثيرة الحدوث . إنه السراب . إنه مجرد سراب . أيها العطار هل تراه عاديا أم ترى قدميه فى الهواء ؟

العطار : جبينه مرتفعا .

المفتش : إذن ، فهى هالة شيفريل المعروفة. إن شكلها متغير بل هو أكثر تغيراً من الماء . وإن أقل حركة تشتتها .

(يكثر من الحركات. لا يختفى الشبح) .

المفتش : لعل هذا يرضى تلك الفتاة المعتوهة . إن الهلوسة الجماعية قد لحقت موظفى الإقليم .

الشبح : إلى اللقاء غدا يا إيزابيل .

المفتش : وهى مصحوبة بجنون سماعى . ماذا يقول عن كوب الدم ؟

الجلاد الأول : إنه لا يتحدث عن الدم . وإنما يتحدث عن المقصلة .

الشبح : إلى اللقاء غدا ، عندك ، فى السادسة . سوف آتى معهم جميعا ، جميعا ...

المفتش : جلطة دموية . من أين عرف أننى سأصاب بجلطة دموية ؟

الجلاد الثانى : وأنا ، ببتر ؟

المفتش : هل ستأتى معى يا سيدى العمدة ؟

العمدة : هيا بنا ، يا إيزابيل ، فالليل يهبط ، وكل شىء قد انتهى .

(يخرج الجميع)

الشبح : أجل ، غدا ، يبدأ كل شىء .

المشهد الثامن

(العطار ، المراقب ، البنات « يظهر الشبح من وقت لآخر »)

(يتهيأ العطار للذهاب عندما تسمع أصوات الصغيرات ، فيدخلن والمراقب فى أعقابهن) .

المراقب : لوس غير موجودة طبعا ، لوس !

البنات : لوس ! لوس !

(تظهر لوس) .

المراقب : لماذا تأخرت ؟

لوس : لأننى كنت أبحث عن الحباحب المنورة بواسطة مصباحى الكهربائى .

المراقب : كاذبة . إن الطريقة الوحيدة التى لا يرى بها المرء الحباحب هى أن ينور عليها .

لوس : لأننى فقدت حمالة جوربى .

المراقب : انظرى إلى مقلاعك ، فستجدينها .

لوس : لأن ...

المراقب : لأن ماذا أيضاً ؟ كيف يا سيدى العطار ، هل كنت تنتظرنى ؟

العطار : كنت أنتظرك .

المراقب : ألكى تخبرنى بمصيبة ما ؟ لقد سمعنا طلقا ناريا .

العطار : لكى أقول لك أن ساعتك تقترب .

المراقب : أية ساعة ؟ فإن عندى من كل صنف .

العطار : الساعة التى تستطيع أن تهزم فيها غريمك أمام تلك التى تحبها .

المراقب : وهل أنا أحب أحداً ؟

البنات : الآنسة إيزابيل . الآنسة إيزابيل .

المراقب : وهل لى غريم ؟

البنات : الشبح . الشبح .

(ظهر الشبح خلفهم من جديد)

العطار : تقدمن ، أيتها الصغيرات ... (يتناول ذراع المراقب ويخرج معه) . إستمع إلى جيداً يا عزيزى المراقب . أخشى أن تبالغ فى تقدير تطورات هذه المغامرة . إن ما يقع هنا الآن يقع كل يوم فى إحدى عمديات فرنسا البالغ عددها ثمانية وثلاثون ألفاً .. هل تعرف معنى كلمة فتاة ؟ ...

المراقب : أجل ، أعرف ، دون أن أعرف ...

(يخرجان وهما يتحادثان . لا يوجد على المسرح سوى لوس) .

لوس : (تكمل جملتها بتؤدة) — لأننى أحب أن أبقى بمفردى ، مساء ، فى الغابات .

صوت المراقب: لوس !

لوس : لقد فقدت قبعتى .

(تلمح الشبح وهى تقذف بقبعتها فى الهواء . فتلهو بتقليد تمايله ، الذراعان متدليتان والساقان هزيلتان).

صوت المراقب: هل وجدت قبعتك ؟

(لوس تلقى مرة أخرى بقبعتها عالياً ، عالياً جداً . وتلتقطها) .

لوس : وجدتها . وجدتها .

(تأتى إشارة استهزاء بالشبح وتختفى) .

الفصل الثالث

(غرفة إيزابيل – شرفة لها نافذتان تطل على ميدان المدينة الصغيرة ويصلها بالميدان باب آخر مغلق .

يسمع صوت الفيلهارمونيك يتردد فى بهو قريب طوال عرض هذا الفصل)

المشهد الأول

(يفتح باب فى الداخل . يدخل المفتش والعمدة والبنات تباعاً على أطراف أقدامهن)

(العمدة . المفتش . البنات)

العمدة : ولكن هذا يعتبر اقتحاماً !

المفتش : وهل تظن أن فى الإمكان ، فى سننا ، دخول

حجرة فتاة أو قلبها بغير اقتحام ؟ كم الساعة الآن ؟

العمدة : حسب الشمس ، فهى الخامسة والنصف .

المفتش : إننى أشك فى أن الأشباح ترجع إلى الشمس فى معرفة الوقت .

العمدة : إذا كانت ترجع إلى المرصد فهى الخامسة وثمان وثلاثون دقيقة .

المفتش : إذن ما زال هناك اثنتان وعشرون دقيقة ، ما دام موعد قدومه هو السادسة فإن لدينا الوقت الكافى لعمل الخندق .

العمدة : خنادق ، الآن ؟

المفتش : هل فاتك يا سيدى العمدة ، أن لنا الشرف ، فى ساعة الكرب هذه التى يتهدد مدينتنا فيها غزو من نوع خاص ، أن نقوم باحتلال أقرب الخنادق من خنادق عدونا ؟

العمدة : القبور ؟

المفتش : علينا أن نذعن للحقيقة . فقد حدث بعد انصرافنا بالأمس أن بحث كل من كاميرون وكرابوس عن الجثة بدون جدوى . لم يعثرا إلا على دائرة

من العشب محترقة على سطح الأرض . وسواء كان الأمر خبلا أو شبحاً فإن مجرى الحوادث سيتصل اليوم .

العمدة : ولكن ماذا ستقول إيزابيل عن وجودنا هنا ؟

المفتش : لن تجدنا إيزابيل . لقد أخرت الساعة الكبيرة التى تنظم حياة القرية كلها بمقدار ساعة . وزيادة على ذلك فإن جيلبيرت تقبع فى مزلقة النافذة ، وستخطرنا بمجرد ظهور أى شخص .

جيلبيرت : إننى أرى الآنستين منجبوا .

المفتش : إعلنى عن كل شيء ، ما عدا قدوم الآنستين منجبوا ، وإلا أصبح عملك مرهقاً . تستطيعين أن تخبرينى حتى بالحيوانات يا جيلبيرت ، فكل شيء اليوم موضع شك .

جيلبيرت : إننى أرى كلب الصيدلى .

المفتش : (وهو يجلس) — نفس الملاحظة بالنسبة لكلب الصيدلى التى ذكرتها بالنسبة للآنستين منجبوا ... عزيزى العمدة ، لطالما أسفت لبقاء عصرنا ، عصر النور ، دون سن نوع من البركة العلمانية إلى جانب التعاويز الدينية ، من شأنها أن تمنع

الخرافة من دخول المكان بعد أن تعقد له هذه البركة ، وهذا النوع من الطقوس هو ما ستشهده الآن . فقد كتبت اليوم نص دعاء سأقرأه عليك .

جيلبيرت : وهل أعلن عن الأشجار أيضاً ؟

المفتش : إن الأشجار لا تسير ، أيتها الغبية .

جيلبيرت : (تتراجع شيئاً فشيئاً) ــ هذا ما كنت أعتقده ... لكن ! هذا ما كنت أعتقده ... لكن ... لكن ...

المفتش : خذى مكان جيلبيرت يا فيولا ، فهى متوترة الأعصاب .

العمدة : إن أعصابنا تتوتر لأسباب أتفه من ذلك .

المفتش : هل من المحتمل أن تصبح كذلك يا سيدى العمدة ؟

العمدة : إننى كذلك فعلا . بخاصة وقد جعلتنى أتخلف عن حضور عملية سحب اليانصيب الشهرى التى كنت أرأسها دائماً ، والتى تجرى الآن فى مقر العمدية .

المفتش : لا تشغل بالك باليانصيب ، فإن القدر يدخر لنا فيه نفس التقلبات التى حدثت فى المرة السابقة . أولى بك أن تطلعنى على نتيجة التحقيق الذى

كلفتك بالقيام به مع مواطنيك . ألسنا ممثلين لهم هنا ؟ هل منحوك تفويضاً عنهم ؟

العمدة : نعم . إنه معنا .

المفتش : هل أخبرتهم بالخطر الذى يتهددهم بسبب إيزابيل ؟ هل سألتهم عما ينتظرهم بعد هذا الشبح ، وبعد أن أعلنها هو بنفسه مساء أمس ، من أنهم سوف يرون أمواتهم من جميع الأعمار يعودون ، ويعيشون معهم ولا يفارقونهم أبداً ؟

العمدة : سألت البرجوازيين فقط والموظفين ضمنا .

المفتش : طبعاً . كان الجواب على عملية التغذية والعمارة معروفاً مقدماً .

ماذا قال رئيس المحكمة ؟

العمدة : إنه يكره المذياع

المفتش : وموثق العقود ؟

العمدة : قال إنه يعرف عدداً لا بأس به من الموتى ، عرفهم وهم أحياء . وأنهم لم يكونوا جميعاً فضلاء .

المفتش : وقائد المطافىء ؟

العمدة : قال إنه ما كاد يستقر فى بيته بعد الحرب ...

المفتش : وأمين المحفوظات ؟

العمدة : إنه يخشى على الحقيقة التى انتزعها من محفوظاته بصعوبة . إن الموتى سيلخبطون له كل شيء بسبب ذاكرتهم الضعيفة . أو بسبب أكاذيبهم .

المفتش : باختصار ، الإجماع ضدهم . لم يبق إلا رأيك الذى لم أعرفه بعد يا سيدى العمدة ؟

العمدة : سيدى المفتش ، إن هوايتى الوحيدة هى جمع الأوانى الخزفية البروفنسية ذات الموضوعات الإباحية ، وطوابع بريد جزر الأنتيل غير المشرشرة . وإننى أكرس أمسياتى لهذه المهمة . ولا أرانى مرتاحاً ، وأنا أقوم بترتيب تماثيل فينوس من الطين المختلط بالصدف ، أو بإعداد الصمغ تحت وقع النظرات المتجمعة التى يصوبها أسلافى منذ حواء ، مثلا الميروفينجيان (١) ، أليس كذلك يا ديزى ؟ ولو حدث ذلك لبدوت أمامهم أبله تماماً .

المفتش : مضبوط جداً ، لابد من أحياء ليقدروا جسامة مشغوليات الأحياء ....

---

(١) ملوك الاسرة الاولى من الاحرار « ٤٤٨ ــ ٧٥١ » (المترجم)

العمدة : طبعاً ، فى جزر الأنتيل ، أفهم جزر باهاها ...

فيولا : ها هى ذى المنازل يا سيدى المفتش ...

المفتش : إن المنازل لا تسير ، أيتها البلهاء .

فيولا : هذا ما كنت أعتقده ... لكن ... هذا ما كنت أعتقده ... لكن ...

المفتش : ديزى ، خذى مكان فيولا ! أيتها البنات ، شكلن الدائرة فى وسط الحجرة . إنكن تعلمن أن عليكن أن ترددن بعدى آخر كلمة من كل جملة مهمة .

البنات : مهمة !

المفتش : لم أبدأ بعد ... إننى أبدأ . (يستقر وسط البنات ويقرأ دعاءه) أجل إنه أنا الخرافة . من أنا ؟ أنا الإنسانية .

البنات : الإنسانية .

المفتش : ماذا تعنى الإنسانية ؟ إننى هنا بالذات لكى أقول لكم ذلك ، وبهذا الإيضاح أقطع الطريق عليكم ، عليكم وعلى ذويكم ... الإنسانية هى ... هى عمل فوق طاقة البشر .

البنات : فوق طاقة البشر .

المفتش : يهدف إلى عزل الإنسان عن هذا الخليط من السوقة الذى هو الكون ...

البنات : الكون .

المفتش : بفضل قوتين لا يمكن قهرهما ، نطلق عليهما الإدارة والتعليم الإجبارى .

البنات : الإجبارى !

المفتش : فالإدارة تعزل جسده بتخليصه من كل المجالات المثقلة بالفضائل البدائية ... ويجب أن تعضدها المجالس البلدية والهندسة الحربية ...

البنات : الهندسة الحربية ...

المفتش : التى تقسم الحدائق ، وتهدم الأديرة ، وتقيم الأبنية العامة من الإردواز والخزف أمام كل كاتدرائية أوأثر تاريخى . وتجعل من أنابيب المجارى ، الشرايين الحقيقية للحضارة ، وتكافح الظل فى كل صوره وبخاصة صورة الأشجار ، ومن لم يرها وهى تقوم بقطع الأشجار القرنية على جوانب الطرق الوطنية ، لم ير شيئاً !

البنات : لم ير شيئاً .

المفتش : (يواصل تلاوته) — والتعليم الإجبارى يعزل

روحه . وكلما تخلصت الإنسانية من قشورها الفكرية ، منحته فى مقابل ذلك اكتشافاً مناظراً . فعندما كفت الإنسانية فى القرن الثامن عشر عن الإيمان بنار جهنم وكبريتها استطاعت فى العشر سنوات اللاحقة أن تكتشف البخار والغاز..

البنات : الغاز .

المفتش : كفت عن الاعتقاد فى الأرواح ، فاستطاعت فى العشر سنوات اللاحقة أن تكتشف الكهرباء ...

البنات : ... باء !

المفتش : وكفت عن الاعتقاد فى كلمة الله ، فاكتشفت التليـــــ ....

البنات : فون !

المفتش : فلتكف عن الاعتقاد فى المبدأ الإلهى نفسه وسيحل محل التعليم الإجبارى الاستنارة الإجبارية التى ستطهر الأرض من الحلم ومن اللاشعور ، وتجعل البحار شفافة حتى أعماق جزر الكوريل ، وأخيراً ، تجعل لكلمات الفتيات معنى ، وتجعل الليل ، يا سيدى الشبح ، شبيهاً بالشمس .

المفتش والبنات : بالشمس !

ديزى : ها هو ذا يا سيدى المفتش .

المفتش : ها هو ذا من ؟

ديزى : الشبح .

المفتش : ماذا تقول الفتاة ؟ ما الذى تسمينه شبحاً ، أيتها البلهاء الصغيرة ؟

ديزى : إنه يأتى من هنا .

المفتش : سيجد من يرد عليه : إنه أحد شركاء إيزابيل الذى يظننى غبياً !

البنات : (سوياً ، بجدية بالغة) — غبياً !

(يخرج المفتش مهرولا) .

العمدة : تعالين ، أيتها الصغيرات ، تعالين .

ديزى : إنها مهزلة يا سيدى العمدة . إن الآنسة إيزابيل والعطار هما اللذان دخلا من البوابة ...

العمدة : سبب أدعى .

(يختفى الجميع من الباب الذى يؤدى إلى الميدان) .

المشهد الثانى

(إيزابيل — العطار)

إيزابيل : شكراً ، يا عزيزى العطار ، فبفضلك وصلت فى الموعد . ولكن هل كان ضرورياً حقاً أن أصل فى الموعد ؟ هل تعتقد فعلا أنه سيعود ؟

العطار : سيعود ... إننى واثق من ذلك ...

إيزابيل : ستبقى معى ، أليس كذلك ؟

العطار : ألا تريدين أن تستقبليه بمفردك ؟

إيزابيل : وهل يرغب هو فى لقاء منفرد ؟ لقد ارتأى له بالأمس أن يظهر للآخرين . لم يعد شبح إيزابيل ، بل شبح المدينة . لقد رأيت العجائز كلهن فى النوافذ . وراحت الآنستان منجبوا تتبادلان الرأى بلا انقطاع فى ساحة الميدان ... واليوم لا حديث للأفواه إلا موضوع واحد : سرنا . والعيون لا تتأهب إلا لرؤية منظر واحد :

الشبح . إن علاقتنا لم يكن لها معنى إلا بخصوصيتها فلماذا يعود ؟

العطار : لأنه فى حاجة إليك .

إيزابيل : لكى يبقى على هذه الأرض ؟

العطار : كلا ، لكى يذهب عنها .

إيزابيل : إنك غامض ؟

العطار : عزيزتى إيزابيل ، ليس هناك نوعان من الهلاك ولا نوعان من الأشباح . هناك فقط ، أولئك الذين حرموا الحياة ولا يجدون الوسيلة للحاق بالموتى . وبمرور الوقت يزداد اعتقادى بأن صديقك واحد من هؤلاء .

إيزابيل : ومع ذلك فليس به شىء من السوقية أو الابتذال . أنت نفسك كنت تظنه شاعراً .

العطار : ربما كان هذا هو السبب . فليس الموت هيناً بالنسبة لأولئك الذين يجيدون التحدث ويبرعون فى التفكير . إن الناس يعتقدن أن الموهبة والعبقرية تمنحان صاحبهما الحق فى الموت ، غير أن العكس هو الصحيح . فهما تفاقم للحياة . إنهما يستنفدان كل خلود عند أصحابهما .

والشعراء هم أولئك الذين وهبوا أنفسهم للموت كلية من أجل إنقاذ الحياة المستقبلة لشقيقة الشاعر الصامتة . لخادمة الشاعر المتواضعة . تذكرى ذلك الذى أتى من باريس فى الشهر الماضى يحدثنا عن إنتاجه . كم كان بليغاً ! لقد كان نثره موزوناً دون أن يعلم مثل جواد يضرب قوائمه فى الهواء ، غير أن هذا كله كان شيئاً فانياً . ما عدا لمحة قصيرة ، شرد فيها فجأة ، أثناء حديثه ، وابتسم فى دخيلة نفسه . كان يفكر بلا شك فى مجموعة العصى التى يقتنيها ، أو فى قطته وهى تحتسى لبناً بالغ السخونة ... كانت تلك هى فرصته الوحيدة لكى يلحق بالموتى فى يوم من الأيام .

إيزابيل : ولكن فيم أستطيع أن أرشده ، أنا ، أنا الفتاة ؟

العطار : وهل تعرفين مغامرة قام بها شبح بدون فتاة ؟ ذلك أنه ليس ثمة سن أخرى توصل إلى الموت بطريقة طبيعية . إن الفتيات وحدهن يفكرن فيه دون أن يقللن من شأنه أو يبالغن من قدره . هن وحدهن يقربنه ، لا فكرياً ولا نظرياً ، بل مادياً ، بأثوابهن وأجسادهن . إن لك خطوات

تؤدى إلى الموت تخلطينها برقصاتك نفسها .
وفى أحاديثك الشيقة جمل من لغة العالم الآخر .
وذات يوم ، فى حضرته ، ستسوقك الصدفة إلى
قول الكلمة التى ستفتح له باب السرداب .
هذا إذا لم تقوديه إليه بنزقة أو استسلامة من ذلك
النوع الذى يؤدى بالأحياء إلى الهوى أو الحماس ؟
صدقينى . إنه لم يعد بعيداً ... وداعاً !

إيزابيل : إبق ، أتوسل إليك . فليست هناك زيارة إلا
وزادت قيمتها بحضورك .

العطار : كما تحبين . كم الساعة الآن ؟

إيزابيل : لقد حان الوقت .

(يذهب الإثنان إلى النافذة . الساعة تدق . تسمع
طرقة على الباب . لا يتحركان . طرقة أخرى .
العطار وحده يلتفت) .

العطار : أوه ، إنه المراقب ! إننى أتركك يا إيزابيل .

إيزابيل : المراقب ؟ ... ليكن ، يا عزيزى العطار ، إلى
اللقاء .

المشهد الثالث

(إيزابيل – المراقب)

(يفتح الباب بهدوء . فيدخل المراقب ، مرتديا سترة . ويمسك بين يديه ، وهما فى قفاز بلون الزبد ، قبعته الرسمية وعصا ذات قبضة ذهبية . تلتفت إليه إيزابيل) .

المراقب : ولا كلمة يا آنستى ، أتوسل إليك ، ولا كلمة ! الآن أنا لا أراك ، ولا أسمعك . إننى لا أستطيع أن أتحمل هاتين اللذتين معاً ، أولا : أن أكون فى حجرة الآنسة إيزابيل ، ثانياً : أن أجد فيها الآنسة إيزابيل نفسها . دعينى أتذوقهما الواحدة بعد الأخرى .

إيزابيل : سيدى المراقب العزيز ...

المراقب : أنت لست فى حجرتك ، وأنا فيها . أنا فيها وحدى مع هذا الأثاث وهذه الأشياء التى طالما أرسلت إلى إشارات من النافذة المفتوحة ،

هذا المكتب الذى يمثل لى خلاصة السر — إن رجله اليمنى أعيد تركيبها ، ولكن خزانته لم تمس — هذه التحفة المنحوتة لروسو ورايرمينونفيل — لقد أودعت أبناءك الملجأ وخيبت بذلك أمل هيلفيت ، ولكنك تبتسم لى أنا — وحامل المشروبات هذا الذى ينتظر فيه ماء السفرجل ، بفارغ الصبر ، من يرفعه إلى شفتيه ساعة الأحد ... كريستال باكارا حقيقى ... سفرجل حقيقى ... لأن كل شىء عندها حقيقى ، دون أى خلط .

إيزابيل : سيدى المراقب ، فى الواقع لست أدرى ماذا أقول !

المراقب : لأن كل شىء حقيقى عند إيزابيل . وإذا كان بعض الأشرار يجدونها معقدة ، فذلك بالضبط لأنها صريحة ... فليس هناك أبسط من النفاق والروتين . وإذا كانت ترى الأشباح ، فذلك لأنها الوحيدة أيضاً التى ترى الأحياء . لأنها الطاهرة الوحيدة فى الإقليم ، إنها بارسيفالنا (١).

---

(١) بارسيفال : آخر أوبريتات فاجنر « ١٨٨٢ » (المترجم)

إيزابيل : هل أستطيع يا سيدى المراقب أن أقول إننى أنتظر شخصاً ؟

المراقب : ها قد انتهيت . كنت أريد أن أحصل مرة فى حياتى على متعة الإدلاء لنفسى بما يجول فى خاطرى عن إيزابيل ، أن أصارح نفسى به بصوت مرتفع ، إننا لم نعد نتحدث إلى أنفسنا عالياً بما فيه الكفاية ، إننا ربما نخشى أن نعرف ما نعتقده . ولكننى قد عرفت ذلك الآن .

إيزابيل : وأنا أيضاً ، وقد تأثرت لذلك .

المراقب : أواه ! ها أنت ذى ، يا آنسة إيزابيل .

إيزابيل : علينا بالجدية . ها أنا ذى .

المراقب : لا يهم يا آنستى ، لا يهم . لابد إذن من التحدث إليك ...

إيزابيل : التحدث عمن ؟

المراقب : عنى ، عنى فقط .

إيزابيل : لقد تجملت كثيراً يا سيدى المراقب لكى تتحدث عن نفسك .

المراقب : لا تسخرى من ملابسى . إنها فقط ما يسندنى الآن . أو بالأصح فكرة ذلك الذى أوأولئك

كان يجب أن تدثرهم هذه الثياب . أجل ، أجل ، فى الواقع ، إن أولئك الذين كان ينبغى أن يكونوا هنا ، هم بالضبط أصحاب هذه الملابس ، جدى وهذه عصاه ، وأخوه ، الذى ترين سلسلة ساعته ، وأبى الذى رأى أن هذه السترة لا تزال جديدة ، فلم يأخذها معه إلى القبر . فقط هذه القبعة تخصنى ، ولذلك فهى تضايقنى وبخاصة من الناحية المعنوية . إسمحى لى أن أخلعها .

إيزابيل : أبوك ؟ جدك ؟ ماذا جاءا يطلبان منى ؟

المراقب : لم تخمنى ذلك ... يدك ، يا آنسة إيزابيل إنهما يتشرفان بطلب يدك ...

إيزابيل : يدى ؟

المراقب : لا تردى على يا آنستى . إننى أطلب يدك ولا أطلب رداً . إننى أطلب منك أن تمنحينى ، بعدم ردك على إلا بعد غد ، أسعد يوم فى حياتى ، الأربع والعشرين ساعة التى سأقول لنفسى خلالها إنك تعرفين كل شىء أخيراً ، إنك لم تقولى بعد لا ، إنك على الرغم من كل شىء ، متأثرة

إذ عرفت أن شخصاً ما فى هذه الدنيا لا يحيا
إلا بك ... شخص ما يدعى « روبير » ، لأن أبى
كان سيخبرك باسمى . هذا الاسم على الأقل ،
فلى اسمان آخران يصعب الاعتراف بهما ...
شخص ما شجاع مجتهد ، شريف ، متواضع ،
لأن جدى ما كان ليعفيك من أية فضيلة من
فضائلى ... وإما لا تردى علىّ إطلاقا ، ودعينى
ألوذ بالفرار وأنا أسد أذنى .

إيزابيل : لا ، لا ، إبق يا سيد روبير ... لقد فوجئت ،
وأنت جئت فى لحظة غريبة !

المراقب : لقد اخترت هذه اللحظة . إخترتها لأننى خليق
بها ، لأنه طرأ على خاطرى فجأة أننى مادمت
أسعد حظاً من ذلك الشبح الذى لن يجلب لك غير
الارتباك والقلق ، فإننى أستطيع أن أقهره
أمامك ، وأن أبين له عجزه عن مساعدتك
وأن أقدم لك .. بعد ذلك . الطريق الوحيد ،
الوسيلة الوحيدة الطبيعية إلى الموت وإلى الموتى ...

إيزابيل : كيف ! وهل هناك طريقة أخرى غير أن
نذهب إليهم .

المراقب : هذه الطريقة تقود إليهم ببطء ، فى هدوء ، ولكن بطريقة مضمونة . إنها توصلنا إليهم ...

إيزابيل : ما هى ؟

المراقب : الحياة .

إيزابيل : الحياة معك ؟

المراقب : معى ؟ لا داعى للتحدث بشأنى يا آنستى ... فإن نصيبى فى الدعوى ضئيل . كلا ... الحياة مع موظف ... لأن مهنتى هى المهمة فى هذا الشأن . ألا تفهميننى ؟

إيزابيل : بلى ، إننى أفهمك . إنك تريد أن تقول إن الموظف هو الوحيد الذى يستطيع أن ينظر إلى الموت مواجهة وكأنه زميل ، وأنه ليس كرجل المال ، أو التاجر ، أو الفيلسوف ؛ وأنه لم يفعل شيئاً ليتوارى عنه أو ليحجبه ؟

المراقب : هو ذاك .

إيزابيل : إن التناقض بين الموت والحياة إنما يخلقه القلق البشرى . والموظف قد عمل ، ولكن بدون قلق ...

المراقب : أجل ، بدون إفراط بالغ الخطورة ...

إيزابيل : إنه عاش ، ولكن بدون استغلال مهيج لشخصيته..

المراقب : مهيج بإفراط ، لا .

إيزابيل : وهو قد ازدرى الغنى ، لأن مرتبه يصله بدون انتظار ، بدون مجهود خاص ، كما لو كانت بعض الأشجار تعطيه ثماراً شهرية ، قطعاً ذهبية .

المراقب : بالضبط ، ثماراً شهرية أو بمعنى آخر قطعاً ذهبية . وهو وإن لم يحظ بالترف إلا أنه نقى روحه بكل ما حوته مهنته من خيال .

إيزابيل : من خيال ؟ تصور أننى كنت أشك فى هذا الأمر ... وهذا ما كان يخيفنى قليلا من الحياة فى صحبة موظف ... فهل ثمة خيال كثير فى مهنة مراقب الموازين والمقاييس ؟

المراقب : هل تشكين فى ذلك ؟

إيزابيل : إضرب لى مثلا .

المراقب : ألفا ، لو تحبين . فى كل مساء ، عندما تغيب الشمس وأعود من جولتى يكفينى أن أغلف المنظر بكلمات مراقبى العصور الوسطى ، وأن أقيس الطرق بالفراسخ ، والأشجار بالأقدام والغابات بالفدادين والحباحب(١) بالبوصات ، لكى

---

(١) الديدان اللامعة (المترجم)

يشكل الدخان والضباب المتصاعد من الأبراج والمنازل ، من مدينتنا ، ضيعة من الضياع التى كانت تسلب فى أيام الحروب الدينية ، وحتى أشعر أننى روح جندى من الجنود المرتزقة أو فارس من فرسان العصور الوسطى الألمان

إيزابيل : أوه . لقد أدركت .

المراقب : والسماء نفسها يا آنستى . القبة السماوية نفسها ...

إيزابيل : دعنى أكمل : يكفى أن تطبق عليها ، هذه السماء ، هذه القبة ، مفردات اللغة الإغريقية أو الحديثة ، وأن تقدر وزن النجوم بالدرخمات أو الأطنان وتقدر سرعتها بالستادات أو الأمتار ، حتى يصبح رهن مشيئتك ، أفق بيريكلير أو أفق باستور .

المراقب : وهكذا فإن شاعرية حياة الموظف لا يماثلها شىء فى فجائيتها .

إيزابيل : أما عن الفجائية . فإننى لا أدرك الأمر جيداً . وهذا أمر مؤسف لأن هذا هو ما أفضله عن أى شىء آخر . فهل فى حياتك فجائية ؟

المراقب : فجائية من نوع نادر ، خفى ، ولكنه مثير .

تصورى ، يا آنسة إيزابيل أننا نغير مقرنا كل ثلاث سنوات ...

إيزابيل : فعلا ، فترة طويلة ، ثلاث سنوات .

المراقب : ولكن إليك من أين تأتى الفجائية : فمنذ بداية هذه السنوات الثلاث تخطرنا الإدارة المستنيرة باسمى مدينتين نختار من بينهما فيما بعد مقر عملنا القادم ...

إيزابيل : وهل تعرف مقدماً ، إلى أية مدينة ستذهب عندما تتركنا ؟

المراقب : أعرف ولا أعرف . أعرف فقط أنها ستكون جاب أو بريسوير . إحداهما للأسف ستفلت منى ولكننى سأحصل على الأخرى ! هل تلمسين حلاوة هذه الحيرة ولذتها ؟

إيزابيل : أوه ! بالتأكيد . إننى ألمس أنك لمدة ثلاث سنوات . وأنت على خلنجنا وكستنائنا . ستظل تتأرجح بفكرك بين جاب ...

المراقب : أى أشجار الشوح ، البرد ، النزهة بعد المكتب وسط العاملات اللائى أمضين يومهن فى تسلق قمة الألب ...

إيزابيل : وبريسوير ...

المراقب : أى الأعشاب ، أى – ليتك تعلمين أننى أحفظ عن ظهر قلب جوان (١) – أى سوق ٢٧ أغسطس البديعة ، وعندما يحمر سبتمبر حتى غاب أوكار الثعابين فى مستنقع فينديه ، يكون الرحيل بالفيكتوريا فى سباقات تعدو عند زاوية شارعى دو جيسكلان وجينيرال بيكار . هل كل هذا من النوع المتوقع ؟ بين منهجك ومنهجى ، بين جاب وبريسوير من ناحية والموت المفاجىء من ناحية أخرى ، إعترفى أنه ليس هناك مجال للتردد !

إيزابيل : كنت أجهل هذا كله . هذا رائع . وفى جاب هل ستظل هكذا تنتظر ثلاث سنوات وبين مدينتين أخريين ؟

المراقب : أجل ، بين فيترى لورفرنسوا ودونفرون ...

إيزابيل : بين السهل والهضبة ....

المراقب : بين الشمبانيا الطبيعية ، وشراب التفاح المعبأ فى زجاجات ...

---

(١) ادولف جوان : احد الجغرافيين الفرنسيين ولد فى ديجون (١٨١٣ – ١٨٨١) كتب دليلا جغرافيا لفرنسا وقاموسا جغرافيا واداريا لها (المترجم)

إيزابيل : بين كاتدرائية لويس الرابع عشر والبرج ...

المراقب : وهلم جرا . فبهذه السلسلة من التأرجحات ومفارق الطرق العجيبة التى ستضم ، حسب هوى المناطق ، صيد ديوك الخلنج أو صيد السمك بالصنارة ، ولعبة البول أو جنى الكروم ، ومباريات الكرة أو عرض الكوميدى فرانسيز لرواية المغامرة على مسرح الأرين ، بهذه السلسلة سأصل يوماً ما إلى قمة الهرم .

إيزابيل : إلى باريس ؟

المراقب : أنت التى قلتها .

إيزابيل : إلى باريس !

المراقب : لأن هناك ، عن تناقض لا يمكن تفسيره ، تكون قمة الفجائية فى حياة الموظفين . ذلك لأن نهاية مطافهم جميعاً تكون فى باريس . وفى باريس يا آنستى ، لا يُخشى الخمول أبداً . ذلك لأنه ، حسب مايعينوننى فى المنطقة الأولى أو الثانية، سيكون على أن أتردد بين بيلفيل ، بمرجها سان جرفيه ، وبحيرتها سان فارجو وبين فوجيرا بآبارها الإرتوازية .

إيزابيل : يا لها من رحلة جميلة ، حياتك هذه ! إن المرء ليرى خط سيرها فى عينيك .

المراقب : فى عينى . إن هذا لا يغضبنى . فكثيراً ما نتحدث عن عيون ضباط الأسطول يا آنسة إيزابيل. ذلك لأن دافعى الضرائب ، وهم يدفعون ما عليهم ، لا يلتفتون إلى نظرة المحصل . ولأن سائقى السيارات وهم يذكرون صيدهم ، لا يتعمقون فى حدقات موظفى الجمارك. ذلك لأن المترافعين لا يحاولون أبداً أن يتناولوا فى أيديهم رأس رئيس المحكمة ويديروها نحوهم فى الضوء برفق ورقة لأنهم قد يرون فيها انعكاساً وزبداً لمحيط أعمق من بقية المحيطات ، حكمة الحياة .

إيزابيل : صحيح . إننى أراها فى عينك .

المراقب : و بماذا توحى إليك ؟

إيزابيل : بالثقة .

المراقب : إذن ، لن أتردد !

(يهرول ناحية الباب)

إيزابيل : ماذا تفعل ، يا سيدى المراقب ؟

المراقب : إننى أوصد هذا الباب بالمزلاج . وأغلق هذه

النافذة ، وأسدل ستار هذه المدفأة وأحبك إحكام
جهاز الغواصين هذا الذى يمثله المنزل البشرى .
هاك يا عزيزتى إيزابيل . إن البعدية قد ردت
إلى ما بعد حجرتك . ليس علينا إلا أن ننتظر
فى صبر مرور الساعة الكاشفة . فقط حذار أن
تتمنى أمنية أو تعبرى عن أسف ! لأن الشبح
لن يلبث أن يرى فى ذلك نداء فيبادر بالحضور .

إيزابيل : شبحنا المسكين !

(يفتح الباب الموصد بالمزلاج – يظهر الشبح
وهو أكثر شفافية وشحوبا)

المشهد الرابع

(الشبح – إيزابيل – المراقب)

الشبح : هل أستطيع أن أدخل ؟

المراقب : كلا . فهذا الباب موصد بالمفتاح والمزلاج وقد لا يبدو كذلك ، ولكنه موصد .

الشبح : إنى أحمل إليك مفتاح السر يا إيزابيل . فليدعنى هذا الرجل وحدى معك .

المراقب : آسف . هذا مستحيل .

الشبح : إنى أتحدث إلى إيزابيل .

المراقب : ولكن أنا الذى أجيب . إننى أقوم على حراستها

الشبح : ومم تحرسها ؟

المراقب : أنا نفسى لاأدرى بعد تماما . فأولى بى أن أكون على أهبة الاستعداد .

الشبح : لا تخش شيئا . فأنا لست مؤذيا .

المراقب : إن الذى يرسلك قد يكون أكثر إيذاء .

الشبح : عمن تتكلم ؟ عن الموت ؟

المراقب : أرأيت ! ... إذا كان يدعى هكذا في مجاله الخاص، فذلك لأنه ليس له اسم آخر .

الشبح : وهل تعتقد أن وجودك يكفى لإبعاده ...

المراقب : والدليل ، أنه ليس هنا ..

الشبح : ماذا تدرى عن ذلك ؟ قد يكون هنا . ربما أنت فقط الذى لا تراه . أنظر إلى وجه إيزابيل : من المؤكد أنها ترى الآن شيئاً غريبا ...

المراقب : لا يهم . فدائما ما يحدث للمرأة أن يحوم حولها أشكال وأشخاص خافية على زوجها وعلى خطيبها . ولكن إذا كان هناك زوج أو خطيب ، فليس ثمة ما يخشى منه .

الشبح : هل أخفيت عنى زواجك يا إيزابيل ؟ أما كانت تشوقك هدية عرس من كافة الموتى مجتمعين ؟ إذن فأنا الآن أمام خطيب إيزابيل ..

المراقب : كلمة خطيب فيها مبالغة . لقد طلبت يدها ولكنها لم ترفض بعد . إننى لا أدرى بالضبط كيف نسمى هذا الرباط ...

الشبح : نسميه هشاً .

المراقب : على كل فهو الرباط الوحيد الذى يربط إيزابيل بالأرض . ولذلك فلن يزحزحنى من هنا شيء ما دمت أنت موجوداً .

الشبح : وتعتقد أنني لا أستطيع أن أعود فى غيبتك هذه الليلة أو غدا .

المراقب : إننى واثق تقريبا أنك لاتستطيع . فلو كانت القوى الخفية التى تحاصرنا تستطيع أن تأخذ على عاتقها الانتظار والمثابرة ربع ساعة متواصلة ، لما بقّى أحد من الناس منذ أمد بعيد . ولكن ما من شيء أكثر تعجلا من الخلود . لقد عدت أنت بتأثير بقية قديمة من الطاقة الإنسانية أو العناد البشرى. غير أن ما لديك منهما يكفيك لبضع ساعات صدقنى . إنسحب أو إذا لم تكن تستطيع أن تمر إلا من خلال الأبواب الموصدة فإننى أوصد لك هذا الباب ...

الشبح : أهذه مشيئتك ياإيزابيل ؟

إيزابيل : سيدى المراقب العزيز ، أتوسل إليك . إننى أقدر إخلاصك ، وصداقتك ، وسأسمح لك غدا . ولكن دع لى هذه الدقيقة ، هذه الدقيقة الأخيرة .

المراقب : غدا قد تحتقرينني إذا تخليت عن وديعتي .

إيزابيل : ألا ترى أن هذا الزائر يحمل إلى ما أمضيت طفولتي في شوق إليه ، كلمة السر .

المراقب : لست ممن يحبون معرفة الأسرار . إن سراً غامضا يحل من نفسك في أغلب الأحيان مكانة أنبل وأهوى من تفسيره . إنه أنبولة الهواء عند الأسماك. إننا نسير في الحياة آمنين بفضل جهلنا بها وليس بفضل اكتشافاتنا . كلمة أي سر ؟

إيزابيل : أنت تعرف . سر الموت .

المراقب : موت من ، موت ماذا ؟ البراكين ، الحشرات؟

إيزابيل : موت الناس ...

المراقب : هذا سؤال بسيط للغاية . هل تروقك هذه التفصيلات . أي سر ترين في ذلك. إننا جميعا في الأوزان ، والمقاييس ، .. نعرف معنى الموت ، إنه راحة نهائية ، تعذيب النفس بخصوص راحة نهائية ، هذا بالأحرى نقض للمنطق . ومن قال لك إن الموتى يملكون هذا السر ؟ لو كانوا يعرفون معنى الموت ، كما يعرف الأحياء معنى الحياة ، فإنني أهنئهم ، فقد عرفوا الشيء الكثير ... إنني باق.

إيزابيل : إذن ، فليقله زائرنا أمامك . فقد يوافق على ذلك .

الشبح : أبدا . إننى أعرف هذا الصنف من الرجال ، الذين يتبخر أمامهم ويفسد لكشفه أكثر الأسرار كثافة .

إيزابيل : إنه يستطيع أن يسد أذنيه .

المراقب : آسف . ذلك بالذات مالا أستطيعه . فإن أصابعى حتى وهى مضمومة لاتحكم سد أذنى . لوكان هناك غشاء طبيعى يغلق أذنى مثل عينى لأصبح هذا ممكنا . ولكن الحال غير ذلك ...

الشبح : هذا هو الكائن الذى من الأسمنت المسلح الذى يضطر القدر أن يصوغ منه ظلالا .

المراقب : إطمئن ، فإننى موقن — ان كنت أوقن بشىء — بأنى سأكون ، متى حان دورى ، ظلا كاملا لمراقب .

الشبح : صحيح ؟

المراقب : وسأحاول — كما أفعل عند تغيير محل عملى — أن أصبح ضروريا فى ظرف بضعة أيام لزملائى الجدد .

الشبح : هل يمكن أن أعرف السبب ؟

المراقب : لأنى سأكون شريفا حى الضمير . لأن الموتى يحتمون علينا فقط ألا نلحق بهم إلا بعد حياة شريفة. هذا هو ماسيحاسبوننا عليه . سيقولون : كيف عشت حربا هائلة ولم تستنفد أتراحها ، وأفراحها ؟ لقد كان لك معرض استعمارى ، وأهملت زيارة «أنجور» والجلوس على شاطىء بحيرة «جواد لوب» ؟ .. أما أنا فلن أخشى أى لوم . فكم من انعطافات أقوم بها فى طريقى ، احتراما للمشاهدين الخفيين لأداعب قطا فى نافذته أو أرفع قناع طفل فى حفل تنكرى . وحتى هنا ، فسأرى إيزابيل كل يوم طوال السنوات الثلاث التى قضيتها فى قرية إيزابيل . وفى ذات مرة ، عند منتصف الليل ، أمسح بالممحاه وأكشط بالمطواة كلمات وقحة منقوشة على حجر بابها — وذات صباح عند الفجر ، أحكم وضع غطاء لبنها ، وفى عصر أحد الأيام أدفع إلى داخل صندوق خطاباتها برسالة لم تحكم وضعها . سأحاول بكل حذر أن أخفف حولها من حدة دهاء القدر ... سيكون لى الحق فى الموت .

إيزابيل : سيدي العزيز روبير .

الشبح : ماذا تقولين يا إيزابيل ؟

إيزابيل : لا أقول شيئا .

الشبح : لماذا تقولين ... سيدى العزيز روبير ؟

إيزابيل : لأنني متأثرة لإخلاص السيد المراقب . ربما أكون مخطئة ؟

الشبح : أنت محقة ، وأشكرك . كنت على وشك ارتكاب أعظم حماقة . كنت على وشك الخيانة من أجل فتاة . ولحسن الحظ ، فقد خانت هى قبلى .

إيزابيل : ماذا خنت أنا ؟

الشبح : وكلهن سيصبحن كذلك دائما . وفى هذا تتلخص مغامرة الفتيات كلها .

المراقب : لماذا تزج بالفتيات فى هذه الحكاية ؟

الشبح : جالسات فى المروج ، ومظلاتهن مفتوحة ، ولكنها إلى جوارهن . متكئات على حواجز الطرق يرحبن بالمسافر بإيماءة وداع . أو جالسات تحت مصابيحهن خلف النوافذ بخيال فى الشارع وخيال فى الحجرة ، مثل الورود فى الصيف ، ومثل فكرتنا عن الورود فى الشتاء ، يتأهبن بمهارة بالغة بين جمهرة الناس ، الكريمة بين عائلة البخلاء ، الجموح بين أهل خائرين ، حتى أن

آلهة العالم يأخذنهن لا باعتبارهن الإنسانية فى طفولتها ولكن باعتبارهن قمة الازدهار ، نهاية مطاف هذا الجنس الذى يعتبر الكهول نتاجه الحقيقى .
ولكن فجأة ...

المراقب : إن هذا تبسيط بالغ للأمور .

الشبح : ولكن فجأة يصل الرجل ... وعندئذ يتأملنه جميعا . لقد وجد السبيل التى يرفع بها من شأنه على الأرض فى نظرهن . إنه واقف على قائمتيه الخلفيتين يتلقى مطراً أقل ولكى يعلق على صدره الأوسمة . فيرتعدن أمامه عن إعجاب منافق وعن خوف لا يوحى إليهن به النمر ذاته . وذلك لجهلهن بأن ذا القائمتين هذا وحده من بين جميع الكواسر هو الذى تتفتت أسنانه ، عندئذ ينتهى كل شىء . فكل جدران الواقع التى كانت تشف لهن خلالها ألف حلية ذهبية وألف نوط تصبح غبشة . وهنا تكون النهاية .

المراقب : النهاية ؟ إذا كنت تشير إلى الزواج فإنك تريد أن تقول : هنا تكون البداية ؟

الشبح : ولذة الليالى . ويبدأ اعتياد اللذة ، ويبدأ الشره . والغيرة .

المراقب : عزيزتى إيزابيل !

الشبح : والثأر . وتبدأ اللامبالاه ... فعلى نحر الإنسان يفقد العقد الوحيد بريقه . لقد انتهى الأمر.

إيزابيل : لم هذه القسوة ؟ أنقذنى من السعادة إذا كنت تجدها حقيرة إلى هذا القدر.

الشبح : وداعا ياإيزابيل ! إن مراقبك على حق . فإن ما يحبه الناس ، إن ما تحبينه ، ليس هو الإدراك ، ليست هى المعرفة . وانما هو التأرجح بين حقيقتين . أو بين كذبتين ، بين جاب وبروسوير . سأتركك على الأرجوحة تؤرجحك يد خطيبك ليمتع عينيه بفكرتيك عن الموت ، بين جحيم الظلمات الصماء والجحيم الهادر ، بين اللزوجة والعدم . لن أقول لك شيئاً بعد هذا . حتى ولا اسم الزهرة الرائعة الشائعة التى تنبت فى عشينا ، والتى تلقانى عطرها عند أبواب الموت ، تلك الزهرة التى سأهمس باسمها فى آذان بناتك بعد خمسة عشر عاما . خذها بين ذراعيك أيها المراقب ! خذها فى هذا الفخ الذى تمثله ذراعاك والذى لن تفلت منه أبدا .

إيزابيل : لو ، للمرة الأخيرة !

(تسرع ناحية الشبح الذى يضمها إليه ويختفى . تشحب وتخور قواها) .

المراقب : (طالبا العون) ــ أيها العطار ! أيها العطار !

المشهد الخامس

(إيزابيل وقد أغمى عليها — المفتش . المراقب)

المراقب : لقد وصلنا فى الوقت المناسب . إنها تتنفس .

المفتش : رأسها ساخن ، ويداها باردتان ، وساقاها متجمدتان . لقد كان زائر العالم الآخر من الحماقة بحيث جرها من قدميها أولا . إنها فرصة .

إيزابيل : أين أنا ؟

المراقب : بين ذراعى ... آه . سيدى المفتش إنها تسقط ثانية ..

المفتش : ذلك لأن إجابتك غير كافية ، أيها الشاب . إن العالم الذى تعود منه إيزابيل ليس الغيبوبة ولكنه قد يكون انفصال الروح عن الجسد ، النسيان الأعظم . وإن ما تطلبه إيزابيل إنما هى حقائق عامة ، وليست تفصيلات من نوع خاص .

إيزابيل : أين أنا ؟

المفتش : أرأيت . أنت على كوكب الأرض ، ياصغيرتى ، فى المجموعة الشمسية . وإذا كنت تشعرين بأنك

تدورين كما تفصح عن ذلك نظرتك ، فأنت المحقة ونحن المخطئون لأنها تدور ...

إيزابيل : من أنا ؟

المراقب : أنت إيزابيل .

المفتش : أنت كائن بشرى مؤنث ، يا آنستى ، إحدى صورتى نمو الجنين البشرى . صورة أحكم صنعها..

إيزابيل : يا للضوضاء !

المراقب : إن الفريق الموسيقى يتدرب...

المفتش : إنها اهتزازات موجبة ، أيتها الأنثى البشرية الصغيرة ، تؤثر على أجزاء مختلفة من باطن جلدك تسمى الحواس ... أنظر إنها تتورد . لا يزال العلم أعظم منبه ، مرر الذرة أو الأيونات تحت أنف مدرسة شابة فتتنبه فى الحال.

المراقب : ولكن . أبدا ! فهاهى ذى تموت من جديد . أيها العطار ! النجدة !

المشهد السادس

(نفس الأشخاص . العطار ، وفى أعقابه جمهور من الفضوليين)

العطار : هأنذا . إطمئنوا : إن معى الدواء

السيد إدريان : لقد رأينا لهبا . هل هناك حريق ؟

العطار : لقد وصلت فى وقتك يا سيد أدريان . إجلس إلى هذه المائدة .

الأب تيلييه : هل ننقلها فى الهواء ؟ هل هى مختنقة .

العطار : دعها واجلس . هاك بعض أوراق اللعب . عندما آمرك ، إلعب المنيلا . ألمانيلا المرصعة .

الصغيرات : ألا زالت على قيد الحياة يا سيدى المفتش ؟ ألا زالت على قيد الحياة ؟

المفتش : تفضلن بالخروج أيتها الآنسات .

العطار : بالعكس . ليدخلن . فلن يكون عددنا أكثر من اللازم لمشاهدة تجربتى .وعليهن بتلاوة دروسهن عندما أشير لهن .

---

(١) احدى ألعاب الورق ، يلعبها أربعة أشخاص اثنين ضد اثنين (المترجم)

المفتش : إنك مجنون أيها العطار ! وكأنك تنظم فرقة كورال.

أرماند : هل احترقت ؟

المراقب : لقد أغمى عليها فقط

أرماند : هل تريدون علقا ؟

العطار : كلا، يا آنسة منجبوا. أدخلى أنت وأختك وثرثرا عندما آمركما .

أرماند : نثرثر ؟ هل نحن نثرثر ؟

ليونيد : قدمى لهم العلق . ولا تنسى أن الرمادية محمومة .

أرماند : إنه يرفضه . إنه يريدنا نحن .

العطار : عظيم . بداية طيبة .

المفتش : هل لك أن تفسر لنا هذا المسلك أيها العطار ؟

العطار : هل من الضرورى فعلا أن أوضح الأمر يا سيدى المفتش ؟ إن الآنسة إيزابيل لا هى سابحة غرقت ، ولا هى متسلقة جبال تجمدت . لقد راحت، سهواً أو بتأثير أزمة ، فى غيبوبة تعرف أنت أصلها مثلى . والتدليك الوحيد ، الدورة الدموية الصناعية الوحيدة التى يمكن أن نقوم بها فى مثل هذه الحالة هى أن نعمل بقدر المستطاع على أن نقرب ضوضاء حياتها العادية من شعورها النائم فلسنا بصدد إعادتها إلى نفسها وإنما إعادتها إلينا

نحن . فلنحاول . هل أدركتم جميعا ؟ هل فهمتم ؟

المفتش : كلا أيها العطار .

العمدة : فى الواقع كلامك ليس واضحا .

السيد أدريان : هل فهمت أنت يا تلبيه ؟

الأب تلبيه : أنا ، أبدا .

ليونيد : ماذا يقول العطار ؟

أرماند : إنهم سيقرءون القاموس ليعثروا فيه على كلمة توقظ إيزابيل .

البنات : أبدا . إنها لم تفهم .

العمدة : وهل فهمت أنت ، يا لوس ؟

البنات : لقد فهمنا كانا .

فيولا : هذا أمر بسيط للغاية . يجب أن تجعل الحياة من حول الآنسة إيزابيل أقوى من الموت .

لوس : إن سيدى العطار يريد أن يركز حولها كل أصوات المدينة الصغيرة وكل أصوات الربيع .

جيلبيرت : مثل حزمة من أشعة إكس .

ديزى : مثل سيمفونية .

إيرين : ومتى تم ذلك ، متى أصبحت هذه الموسيقى ...

لوس : حتى تنفذ إليها هذه الحرارة من جديد ...

ديزى : مجرد كلمة ، مجرد صوت سيؤثر فى قلبها ...

فيولا : ثم يعود القلب إلى سيره .

العطار : برافو ، أيتها الصغيرات . أظن أنكن تدركن الآن جميعا . إذن إذهب يا سيدى العمدة إذهب إذن إلى الخارج وتول مهمة الأصوات لو تكرمت.

العمدة : البيطار ؟ المطرقة ؟

العطار : أو النفير من بعيد . وأنت يا سيدى المفتش حاول أن تنطق بين لحظة وأخرى بعضا من هذه الألفاظ المجردة التى تشيع فى حديثك .

المفتش : إننى لا أستعمل من الكلمات المجردة غير تلك التى تقتضيها العدالة والحقيقة .

العطار : عظيم ... عظيم ..

المراقب : أحبك يا إيزابيل .

المفتش : والديمقراطية .

العطار : و« أحبك » ضعيفة قليلا ، و« الديمقراطية » قوية قليلا . هيا لحظة صمت أولا . واحد ... اثنان ... ثلاثة ...

(يبدأ لاعبو الورق فى اللعب فعلا وتبدأ النساء فى الهمس ... المفتش يحدث نفسه. ضوضاء الحياة نفسها بدلا من الضوضاء المصطنعة . بوق سيارة . عابر يصفر قائلا : ليس هذا غير حلم، حلم

جميل . الموسيقى تعزف ، النعار يغرد . وإيزابيل
ترتجف شيئا فشيئا) .

العطار : واحد ، إثنان ، ثلاثة !

البنات : إن فرع كروز يصب فى نهر فيان .

أدريان : يا أب تلبيه ، قو قلبك !

البنات : إن فرع أورون يصب فى نهر شير .

الأب تلبيه : من يصاب به يموت .

البنات : إن فرع سيول يصب فى نهر ألبيه .

المفتش : جماهير كادحة ... مستنقعات راكدة .

البنات : إن فرع كروز يصب فى نهر فيان

أرماند : هناك غسال وهناك صباغ .

المراقب : أحبك ...

البنات : إن فرع أورون ..

أدريان : ورقة البنت البستونى

البنات : يصب فى نهر شير ...

الأب تلبيه : إنها طيبه

البنات : إن فرع سيول .

الأب تلبيه : ولها شعر ..

البنات : ... يصب فى نهر أليه
إن نهر كروز ...

المفتش : أيتها المستنقعات الراكدة .

البنات : يصب فى نهر فيسان .

إن نهر أورون .

المفتش : ... عقلية ....

البنات : يصب فى نهر شير .

ليونيد : إن الدهون النباتية لم تكن أبدا زبدا .

أدريان : حشرتان خضراوان

أرماند : هى امرأة عثر عليها فى زقاق .

المراقب : إننى أعبدك .

البنات : نهر فيان .

(فى هذه الأثناء يتولى العطار بعصاه قيادة المجموعة التى ترفع أصواتها وتخفضها تبعا لرغبته) .

العطار : ها نحن أيها السادة قد اقتربنا من نهاية هذا الفصل الجديد من قصة فاوست ومرجريت . وإذا كانت بطانة السارافيم تنقصنا فان همهمة اللاعبين ، والآنستين منجبوا والصغيرات تقوم اليوم بدور البطانة التى تحل محلها بفضولها وعدم اكتراثها ولا أظن أن هذه أقل تأثيرا .

(فى أثناء لقاء العطار)

البنات : إن فرع أورون يصب فى نهر شير . بصوت منخفض

(بصوت منخفض)

أرماند : إن المرء يصبح طباخا ولكنه يولد شواء

البنات : إن فرع سيول يصب فى نهر أليبه .

المفتش : عقلية ... تقسيمات ، صحية .

(العطار يشير لهم برفع الصوت)

البطانة

البنات : إن أورون يصب فى شير

(بصوت مرتفع)

البنات : إن سيول يصب فى أليبه

الأب تيلييه : من يصاب به يموت .

المفتش : خرافات ... نظرية فرويد .

أرماند : مثل حرملتى

البنات : إن كروز يصب فى فيان

أرماند : سأبطنها بالقطيفة

ليونيد : أوه ! كلا ، لا يمكن !

إيزابيل : (وهى ترتجف) أوه ! كلا ، لا يمكن !

الجميع : كيف ؟ ماذا حدث ؟ هل تكلمت ؟

العطار : لم أكن أنتظر أقل من ذلك من كلمة قطيفة .هو ذاك يا آنسة أرماند تحدثى كما او كنت تتحدثين مع أختك ... إن طبقة من الصمت تفصلنا أيضاً عن إيزابيل .

البنات : إن أورون يصب فى شير

أدريان : ورقة البنت البستونى

المفتش : جماهير كادحة ...

البنات : ان سيول يصب فى أليبه

أرماند : ظننتها قطيفة حريرية

إيزابيل : (وهى تفيق شيئاً فشيئا) — لتبطين الحياة بقطيفة حريرية . لتبطين الموت ... ولكن ، ماذا أقول ؟

المفتش : مسكينة .

ليونيد : ولماذا لم آخذ كريب دى شين ؟

إيزابيل : ولماذا لا تأخذين كريب دى شين ؟ المتجر لا يزال مفتوحا . الموسيقى تعزف ... آه ! ها أنت ذا يا سيدى العزيز روبير ... يدك !

المفتش : لقد هلكت !

العطار : لقد نجت !

ليونيد : ماذا يقول هؤلاء السادة ؟

أرماند : إن الآنسة إيزابيل هلكت ونجت

ليونيد : لقد فعلت كل ما استوجب ذلك !

العمدة : (وقد ظهر بصحبة فيولا) — سيدى المفتش . سيدى المفتش . اليانصيب.

المفتش : يا نصيبك ماذا حدث له ؟

العمدة : لقد تم سحبه .

المفتش : ولم هذا الانفعال ؟ هل الفضيحة لا تزال مستمرة ؟

العمدة : بالعكس ، فقد عاد كل شيء إلى مجراه الطبيعى في اللحظة التي بدأنا فيها نيأس . تكلمى يافيولا فإننى في غاية الإرهاق .

المفتش : مجراه الطبيعى ؟ من الذى فاز بالدراجة البخارية .

فيولا : قعيد الملجأ .

المفتش : والجائزة النقدية الكبرى ؟ .

فيولا : السيد دوما . المليونير .

المفتش : لقد انتصرنا . أيها السادة ، انتصرنا ، إن مجهوداتنا لم تذهب هباء . وفرحنا اليوم عظيم أيها المواطنون الأعزاء ، إذ نرى أنه من هده المدينة التى تضاربت فيها القيم الإنسانية كان حضورنا كافيا للقضاء على الأوهام المختلفة بواسطة ذلك القاسم المشترك الأعظم ، ألا وهو الديمقراطية المستنيرة . إسمحوا لى بالانصراف ، فقد حفظت حادثة إيزابيل ، أما حادثة لوس فلن تحل قبل ثلاث سنوات أو أربع . إننى أستطيع أن أذهب إلى سانت بريكس ، فقد أبلغت أن حارسا ليليا

يسير هناك أثناء نومه ، أسوأ نوع من السير أثناء
النوم ، فهو ، بسبب مقتضيات مهنة المريض ،
يقع في وضح النهار وبين أناس يقظى . وداعا
يا سيدى العمدة ، إننى أعيد اليك إقليما منظما .
يذهب المال فيه إلى الأغنياء والسعادة إلى السعداء ،
والمرأة إلى فاتنها . مواطنى الأعزاء ، إن مهمتنا
لديكم قد انتهت .

العمدة : وشفيت روح إيزابيل .

أرماند : وتوجت كما ينبغى لها شاعرية الموظفين !

العطار : وانتهى فاصل الاستراحة .

ستار

فهرس

صفحة

ظهر فى هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
١ ـ راس الآخرين	مارسيل ايميه	د. محمد غنيمى هلال
٢ ـ المتوحشة	جان آنوى	د. يحيى سعد
٣ ـ القديسة جون	برناردشو	محمد محبوب
٤ ـ بلدتنا	ثورنتون وايلدر	د. محمد اسماعيل الموافى
٥ ـ الليلة نرتجل والجرة	لويجى بيرندللو	محمد اسماعيل محمد
٦ ـ الاستثناء والقاعدة محاكمة لوكولوس	برتولد برخت	د. عبد الغفار مكاوى
٧ ـ العادلون	البير كامى	بسيم محرم د. ريمون فرانسيس
٨ ـ سبع مسرحيات	يوجين اونيل	د. نعيم عطية
٩ ـ رومولوس العظيم	فربدتش درنمات	انيس منصور
١٠ ـ ليونس ولينا ،فويسك	جورج بوشنر	د. عبد الغفار مكاوى
١١ ـ الشياطين	جورج هوايتنج	محمود محمود
١٢ ـ قطة على نار	تنيسى وليامز	د.محمدسميرعبدالحميد
١٣ ـ مركب بلا صياد	اليخاندرو كاسونا	د. محمود على مكى
١٤ ـ جسرآرتا «الثمن الفادح»	جورج ثيوتوكا	د. نعيم عطية
١٥ ـ ارض النفاق «كل شىء فى الحديقة»	جايلز كوبر	د. محمد اسماعيل الموافى على أحمد محمود
١٦ ـ الحب الحرام «المدنسة»	بينابنتى	د. عطية هيكل
١٧ ـ مدرسة الازواج سجاناريل	موليير	د. حسن سيد عون
١٨ ـ هنرى الرابع	لويجى بيرندللو	محمد اسماعيل محمد
١٩ ـ بعد السقوط	آرثر ميللر	على شلش
٢٠ ـ الميجور باربارا	برناردشو	أحمد النادى
٢١ ـ السيد بونتيلا وتابعه ماتى	برخت	د. عبد الغفار مكاوى

ظهر فى هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
٢٢ - بيكيت «شرف الله»	جان آنوى	سعد مكاوى
٢٣ - فاوست كما اراه	بول فاليرى	عبد العاطى جلال
٢٤ - الانسان الآلى او «أ.د.١»	كاريل تشابيك	د. طه محمود طه
٢٥ - نزوة العاشق الشركاء	جوته	د. مصطفى ماهر
٢٦ - هبوط أورفيوس	تنيسى وليامز	د. محمد سمير عبدالحميد
٢٧ - زواج فيجارو	بومارشيه	فتوح نشاطى أنور فتح الله
٢٨ - المستجيرات المستجيرات ابناء هرقل	أشيل يوريبيد	د. على حافظ
٢٩ - انعروكليز والاسد	برناردشو	محمود صابر عبد الله
٣٠ - كاليجولا	البير كامى	على عطية رزق
٣١ - فى انتظار اليسار ، استيقظوا وترنموا	أوديتس	محمد أنعم غالب
٣٢ - التيه «كل فى بيدائه»	دوريس ليسنج	سعد زهران
٣٣ - تاج على ميتة	مونترلان	أبو بكر محمد بكر
٣٤ - قيصر وكليوباترة	برناردشو	د. اخلاص عزمى
٣٥ - عدو البشر	موليير	د. محمد غنيمى هلال
٣٦ - خمس مسرحيات طليعية	يوجين يونسكو	شفيق مقار
٣٧ - سوء التفاهم	آلبير كامى	د. ساميه أحمد أسعد
٣٨ - انترمتزو او «بين بين»	جان جيرودو	حماده ابراهيم

تحت الطبع فى هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
اندروماك	راسين	د. طه حسين
هيكابى	يوريبيدس	د.محمد محمود السلامونى
اوديب الملك اوديب فى كولون انتيجون	سوفوكليس	د.على حافظ
روميو وجوليت	شكسبير	الشاعر احمد رامى
الحداد يليق بالكترا ثلاثية	أونيل	د.لويس مرقص د.فخرى قسطندى
حسب تقديرك	بيرندللو	محمد اسماعيل محمد
حفلة كوكتيل	ت.س.اليوت	الشاعر صلاح عبدالصبور
لوثر	جون اسبورن	نعيم جاب الله
متعة العيش	وليم سارويان	محمود محمود
عطيل يعود	كازاند زاكيس	د.نعيم عطية
الفوريلا	يوجين أونيل	د.محمد اسماعيل الموافى
روميو وجانيت	جان آنوى	يحيى سعد
انشودة الحب العذبة	سارويان	د.وليم الميرى
انطونيوس وكليوباترة	وليم شكسبير	د.لويس عوض
بستان الكرز	تشيكوف	نجيب سرور
مدرسة الفضائح	شريدان	حكمت عباس
مياه بابل	جون اردن	فتحى عبدالفتاح
فاوست	جـــوته	د.محمد عوض محمد
تاسو	جــــوته	د.عبد الغفار مكاوى
العنقاء ثرو الملائكة السيدة ليست للحرق	كريستوفر فراى	شفيق مقار
مالاتستا	مونترلان	وحيد النقاش
ليالى الغضب	ارمان سلاكرو	د.انيس فهمى
حافى القدمين فى آثينا	ماكسويل آندرسون	سمير كرم

تحت الطبع فى هذه السلسلة :

المسرحية	المؤلف	المؤلف
لعبة القدر	روبرت شروود	أميمة أبو النصر
بجماليــون	برناردشو	جرجس الرشيدى
المطالبون بالعرش	ابسن	ميخائيل بشاى
العين بالعين	شكسبير	د. زاخر غبريال
اللعبة الخطرة	نوشتش	د. حسين عبداللطيف السيد جمال الدين سيدجادالله
الكذاب	كورنى	ميخائيل بشاى
سور الصين	ماكس فريش	سمير التنداوى
الابن المنبوذ	مونترلان	أبو بكر محمد بكر
مجنونة شايو	جيرودو	دولت محمد حسين
مهنة مسز وارين	برناردشو	سعد الدين توفيق
الشيطان الابيض	جون وبستر	د. محمد عواد العسيلى
ليليوم فى	سيجلجاتى أدا	كمال عيــد
فينوس وادونيس	شكسبير ، مسرحة	محمود صابر عبد الله
اغتصاب لوكريس	اندرى أوبى	محمود صابر عبد الله
ستر العرايا	بيرندللو	فتوح نشاطى
يوريديس	جان آنوى	مصطفى ابراهيم مصطفى

تحت الترجمة فى هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
عطيل	شكسبير	د.عبد القادر القط
دون جوان	موليير	يحيى حقى
ســائر المسرحيات	موليير	يحيى حقى
ســائر المسرحيات	اليونانية	د.على حافظ
ســائر المسرحيات	اليونانية	د.محمد محمود السلامونى
جريمة قتل فى كتدرائية	ت.س.اليوت	الشاعر صلاح عبد الصبور
مسرحيتان	هارولد بينتر	د.وداد حماد
الذى أوله عسل	شيلا ديلانى	عبد الله فريد
هاملت	وليم شكسبير	د.شوقى السكرى
سبع مسرحيات	تنيسى وليامز	د.جمال الدين الرمادى
كنز البخيل ، التوامان	بلاوتوس	د.أحمد أبو زيد
الملك لير	شكسبير	د.محمد اسماعيل الموافى فوزى العنتيل
المليونيرة	برنارد شو	نبيل راغب فرج
ايام بلا نهاية	يوجين أونيل	د.عز الدين اسماعيل
الصاعقة	ديرنمات	د.مصطفى ماهر
ثلاث مسرحيات شعرية	و.ب. ييتس	نبيل حلمى
طائر البحر	تشيكوف	الشاعر عبد الوهاب البياتى
السيميائى	بن جونسون	محمد وفيق حسن
اربع مسرحيات	ادوارد البى	على شلش
البورجوازيون	مكسيم جوركى	د.ابو بكر يوسف حسين
سيزار	مارسيل بانيول	فاطمة على نجيب
منزل القلوب المحطمة	برناردشو	مجد الدين حفنى ناصف
الرهينة فى انتظار الاعدام	براندين بيهان	مصطفى كامل عبد الفتاح
رجل الدولة المتقاعد	ت.س.اليوت	د.عادل سلامة
دوقة ملفى	وبستر	د.السيد محمد بدوى
عيشة الخنازير	جون آردن	د.عبد الحكيم حسان عمر
عين الجماعة،اذن الفرد	بيتر شيفر	سهير الحارنى
المنافق	موليير	د.محمد عبد الحليم

تحت الترجمة فى هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
رحلة النهار فى الليل	يوجين اونيل	د.محمود شكرى مصطفى
حرب طروادة لن تقوم	جان جيرودو	درية فهمى اسماعيل ليلى عباس الديب
حفلة عيد الميلاد	هارولد بينتر	محمد غنيم
اغنية بملاليم	جون هوايتنج	محمد عبد اللطيف حجازى
جريمة مزدوجة	هارولد بينتر	رؤوف رياض
حلم مؤجل	لورين هانزبرى	زينب صادق نهاد جاد
الموائد المتناثرة	تيرنس راتيجان	عبد المنعم حسن محمد
الوداع الأخير لأرمسترونج	جون أردن	ابراهيم الصيرفى
سيد سنتياجو	مونترلان	محمد مواصل عباس د.محمود السباعى
ملك سابق	سارب أنتال	كمال عيد
الجوع والعطش	يوجين يونسكو	د.سامية احمد اسعد
الليل على المدينة	ماكسويل اندرسون	عايد الرباط
الفشيم العبد	لى روا جونز	ابراهيم منصور سليمان عبد الله
فجأة فى الصيف الماضى الشىء الدفين	تنيسى وليامز	فاتن انور
الدوامة	سارتر	د.محمد محمد القصاص
فيدر	راسين	د.محمد محمد القصاص
القبرة	جان آنوى	د.محمد محمد القصاص
ساعة الغداء ومسرحيات اخرى	جون مورتمر	يحيى ابراهيم عبد الدايم
اضطهاد وقتل مارا	بيتر فايس	يسرى خميس
غدا تشرق الشمس المنفى	مونترلان	ابو بكر محمد بكر
روى بلاس	فيكتور هوجو	د. محمد غنيمى هلال

تحت الترجمة فى هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
ليلةساهرة من ليالى الربيع	ازيكى خارديل بونثيلا	د. محمد الامين طه
عسكر وحرامية	دوجلاس ستيوارت	عبد الله فاضل فارع
البرج	هال بورتر	د.على الحديدى
يوم فى السنة	آلان سيمور	حسن محمد حسن
المأساة الاسبانية	توماس كيد	محمود على مراد
هيبوليتس / جنون هيرقل	سينيكا	امين سلامة
بلا ماوى	وليم باصط	وجيه الشناوى
صناعة النجوم	كلايف اكستون	وجيه الشناوى
نساء طروادة	سارتر	وحيد النقاش
تيمورلنك العظيم	مارلو	محمد على زيد
فصل فىمأساة الكونغو	ايمى سيزير	يحيى سعد
وشم الوردة	تنيسى ويليامز	محمد عبد الله الشفقى
فاصل عجيب	اونيل	بهاء طاهر
طائر الشباب الجميل	تنيسى ويليامز	رمسيس شكرى
ليس فى الامكان ابدع مما كان	بيراندللو	محمد اسماعيل محمد / نعيم جاباالله
خمس مسرحيات من فصل واحد	شون اوكيسى	احمد النادى

دراسات فى المسرح تحت الاعداد

اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
مسرح العبث	د. نور شريف	
المسرح الشعرى	شفيق مقار	
المسرح الفرعونى	د. فايزة هيكل	
تاريخ المسرح اليونانى والرومانى	مارجريت بيبر	امين سلامة
العمل المسرحى (مكتبة علم الجمال)	هنرى جوهيى	على عطية
مسرح الاحتجاج والتناقض	جورج ولورث	حسين اللبودى فكرى منير
مسرح العصور الوسطى فى الغرب	الأستاذ عبد الرحمن صدقى	

اقرأ فى هذه السلسلة لهؤلاء العمالقة :

اسخيلوس	ابسن	دورنمات
سوفوكليس	برنارد شو	جان انوى
يوربيديس	ت.س. اليوت	آرثر ميللر
ارسطوفانيس	تشيكوف	البير كامى
شكسبير	لويچى برندللو	تنيسى وليامز
مارلو	يوچين أونيل	جون اسبورن
موليير	وايلدر	براندن بيهان
راسين	چان پول سارتر	أوكيسى
شريدان	برخت	جايلز كوبر

وكثيرين غيرهم

فى العدد القادم   عندما تعمى البصيرة ـ تأليف مونترلان

العدد ٣٨

الثمن ١٠



الدار القومية للطباعة والنشر

فى هـذا العـدد : ((أنتر متزو)) أو (بين بين)

فى العدد القادم : « انترمتزو » او (بين بين)

اذا كان « جيرودو » فى سيجفريد يحاول أن يكون حمامة سلام بين الانسان واخيه الانسان ، واذا كان فى امفتريون ٣٨ يسعى الى عقد صداقة بين عالم الانسان وعالم الآلهة ، واذا كان فى اوندين يسعى الى اقامة الحب بين عالم الانس وعالم الجن ، فانه فى انترمتزو يحاول ان يقيم هذا السلام وهذه الصداقة وهذا الحب بين عالم الأحياء وعالم الموتى ، ويسعى لى المزج بين عالم الانسان من ناحية وعالم النبات وعالم الجماد من ناحية أخرى .

فى هذه المسرحية يقف « جيرودو » - كعهدنا به دائما - موقفا وسطا أو « بين بين » من العقل والخيال اذ يرى أن الحياة البشرية لاتستقيم الا بالجمع بين الخيال والعقل دون شطط من أحدهما على حساب الآخر ، فاذا كان عالم العقل حافلا بالشر والحمقى ، فان جيرودو يلجأ الى الخيـال الذى يخلق له عالما شاعريا تكسوه الخضرة وتلمع فى سمائه النجوم وتتنقل بين أرجائه الأشباح ويضفى عليه نور القمر سحرا وعذوبة فاذا بنا أمام سيمفونية من الألوان والأصوات .

ان جيرودو فى هذه المسرحية يرتاد آفاق الميتافيزيقية ، لكنه - كعهده دائما لايجد بدا من العودة الى الرواقية ويتمثل للواقع المادى للأشياء فى غير تبرم به ولا سخط عليه .

تأليف : جان جيرودو

ترجمة وتقديم : حمادة ابراهيم

فى العدد القادم : عندما تعمى البصيرة أو مالاتستا

من رأى مونترلان أن الكاتب المسرحى لا يختار الفترات التاريخيـة التى يعالجها بقدر ما ترشح تلك الفترات نفسها للكاتب ، وذلك بفضل الشبه الذى يكون بينها وبين ظروفه المعاصرة . ومن تلك عصر النهضة وعصرنا الحاضر ، وهمـا من عصور الانتقال التى تختلط فيها القيم الروحية وتضطرب فيها الأحكام وتتعذر الرؤية الصادقة .

اتخذ المؤلف شخصية « مالاتستا » التاريخية - كما اتخذ مارلو شخصية فاوست الأسطورية وتيمورلنك التاريخية - ليمثل بها قبيلا من الناس يسكرهم خمر المجد ، وهى شخصيات تنظر بعين العاطفة الغير الفاحصـة فلا ترى غير ما تحب أو ما تكـ[illegible] وتعمى عن مكمن الخطر . « فمالاتستا » ينقذ الاديب « بوروسيليو » ويغمر[illegible] ويستخدمه لكى يخلد قصة حياته فى كتاب . دون أن يقدر أن الجميل الـ[illegible] اليه يمكن أن يتحول الى دين ثقيل الوطأة يسعى المدين للتخفف منه بالقـ[illegible] حياة الدائن . وهذا بالضبط ماحدث .

ويقول الأستاذ نبيل الألفى المخرج الشهير « غير أن مالاتستا فوق أ[illegible] الانسان حين يشتبك فى صراع مع عالم مضطرب ومأساة حب الانسان للـ[illegible] يكونها عن نفسه ويرغب فى فرضها على الآخرين - غنية المحتوى ويمكن [illegible] من خلال زوايا نظر متعددة » .

تأليف : مونترلان

ترجمة وتقديم : وحيد النقاش